

بحث بعنوان:

آيات الحكمة في سورة الإسراء

د / خالد سعيد أحمد البسيوني

جامعة الأزهر - كلية أصول الدين - القاهرة

آيات الحكمة في سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الواحدِ الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، المتكفل بعبادة خلقاً وإيجاداً والمتفضل عليهم هدايةً وإرشاداً..
والصلاة والسلام على خيرٍ مرسلٍ من ربِّه، وخيرٍ مأمورٍ من قبل العليم الخبير، وخيرٍ مبلغٍ بأذنه وأمره (سيدنا محمدٍ ﷺ) الظاهرِ بدينه على الدين كله ولو كره المشركون..
وبعد،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ زادٌ لكل طالب، ومددٌ لكل مرشدٍ وناصح؛ أرسى الله -تعالى- فيه قواعدَ الحق، وأسسَ الخير والصدق، وجعله مهيمناً على ما سبق من كتب السماء
قال -تعالى- -

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾

[المائدة ٤٨]

فالقرآنُ الكريمُ حوى ما حوته الكتبُ السابقة، وزاد عليها إذ لم يخاطب قومًا بعينهم، ولا جنسًا دون غيره، ولا شعبًا دون سواه.. بل خاطبَ العالمَ أجمع في كل زمان ومكان.

كما حظي القرآنُ الكريمُ بشيءٍ لم تحظ به الكتبُ السابقة؛ وهو حفظه من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف والزيادة والنقصان.. قال -تعالى- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر ٩]

إنَّ رسالات السماء قبل القرآن العظيم قد أصيبت في مقتل عندما هدمها أصحابُها عقيدةً وسلوكًا، وتحريفًا لنصوصها، وتزويرًا في تأويلها وفهمها..
ولم يبق للبشرية - إذا أرادت النجاة - إلا هذا القرآن الكريم وما يتصل به من منهج سلوكي شريف متمثل في خير الأنبياء والمرسلين (سيدنا محمدٍ ﷺ)
وللقرآن الكريم منهجه التام والكامل في هداية الأمم أفراداً وجماعات، شعوبًا وحكومات..

آيات الحكمة في سورة الإسراء

فهو واضحٌ وصريحٌ فيما يريد تقريره أمراً أو نهياً، سالكٌ في كل ذلك سبيل النصيحة والحكمة..

وهو في أمره أو نهيه متناسق مع الفطرة السليمة والقلوب الطاهرة.. وإن من آيات القرآن الكريم والتي تصور لنا هذا المنهج الحكيم في أوضح صورة؛ تلك الآيات التي تضمنتها سورة الإسراء والتي تسمى بآيات الحكمة بدأً من قوله - تعالى - ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء آية رقم: ٢٢] وانتهاءً بقوله - تعالى - ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفِقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء آية رقم: ٣٩].

آياتٌ مع قلة عددها إلا أنها تصور منهجاً كاملاً للبشرية جمعاء عقيدة وسلوكاً، إيماناً وعملاً يقول الإمام الزمخشري عند تفسير قوله - تعالى - ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ..﴾ الآية: " (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من قوله ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢] إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلامٌ محكمٌ لا مدخل فيه للفساد بوجه، وعن ابن عباس: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى، أولها: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال الله - تعالى - ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥] وهي عشر آيات في التوراة" (١).

وأخرج الإمام ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل ثم تلا (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ). (٢) وعلّق الإمام الألويسي على هذا الأثر بقوله: " وهذا أعظم مدحاً للقرآن مما في

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل ٢ - ٦٦٨ للإمام / الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ - ط / دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ -).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ - ٥٩٠ للإمام / أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ - ط / مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. تحقيق: أحمد محمد شاكر

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الكشاف" (١)

ولمّا كانت هذه الآيات بهذه المثابة من الأهمية بدأً وخاتمةً، وكما هو بيّن من وصف رب العزة لها بـ (أنها من الحكمة)، وكذلك تسجيلاً في التوراة كما هو ظاهر من أثر ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد أحببت - بعد توفيق الله - تعالى - أن ألقى الضوء على هذه الآيات، ودورها في بناء المجتمع أفراداً وجماعات من خلال دراستها دراسة تفسيرية تحليلية تعتمد على الآتي:

- ١- بيان سبب نزول الآيات إن كان لها سبب نزول.
 - ٢- شرح معاني المفردات، وأسرار التراكيب.
 - ٣- ذكر المعنى العام للآيات.
 - ٤- الحكم والدروس المستفادة من الآيات.
 - ٥- جعلته في مباحث: وجعلت لكل وصية مبحثاً.
- * وقبل ذلك كله أبدأ بتمهيد أخص فيه النقاط التالية:
- اسم السورة الكريمة، وسبب تسميتها.
 - مكان نزول السورة الكريمة.
 - عدد آيات السورة.
 - بيان فضل السورة.
 - بيان معنى الحكمة، وسبب تسمية الآيات موضع البحث بأنها من الحكمة والله أسأل التوفيق والسداد فإنه نعم المولى ونعم النصير.
 - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥-٧٧. للإمام/ الألويسي. ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

تمهيد: ويشتمل على مسائل:

الأولى: في اسم السورة

بادئ ذي بدء فإنَّ من المناسب ذكره قبل الشروع في بيان وتوضيح الآيات الكريمة من سورة الإسراء التي وصفها الله تعالى بأنها من الحكمة أنْ نشرع في ذكر بعض النقاط التي تعين على تفسير هذه الآيات الكريمة من السورة، وأولى هذه النقاط: اسم السورة وسبب التسمية^(١).

وبيان ذلك فيما يلي:

- ذكر علماء التفسير لهذه السورة ثلاثة أسماء هي " سورة الإسراء، وسورة سبحان، وسورة بني إسرائيل "

أولاً: المأثور من هذه الأسماء الثلاثة " سورة بني إسرائيل ؛ فقد روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ فِي

(١) لم تكن مسألة تسمية السور محلَّ اتفاق بين العلماء.. إذ يرى بعضهم أنَّ تسمية سور القرآن الكريم بأسمائها المعروفة من قبيل التوقيف.. وهو ما ذهب إليه الإمام السيوطي - رحمه الله - في إتيانه (١) - ١٤٨ مكتبة دار التراث - القاهرة) وقيل إنها اجتهادية، وعلى هذا فلا يعدم الناظر أن يستتج للسورة الواحدة أسماءً أخرى غير الواردة. [ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٢١ د / محمد محمد أبو شهبة - ط - مكتبة السنة / الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م] وقيل: إنَّ بعض أسماء السور ثابت بالتوقيف والآخر بالتوفيق " على ما حققه الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة في كتابه (التفسير التحليلي لسورة النساء ص: ١٢، ١٣- ط - مطبعة الفجر الجديد - الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) فهذا الخلاف لا يمنع من البحث عن أسرار أسامي السور فإنَّ كانت التسمية ثابتة بالتوقيف فالتعرف على سرِّها تعرف على جانب من حكمة الله في قرآنه العظيم.. وإن كانت التسمية غير ثابتة بالتوقيف فإنَّ التعرف على سرِّها حينئذٍ فوق كونه إثباتاً لكون المجتهدين من الأئمة ؛ ما كانوا يختارون رأياً جزافاً، وإنَّما عن تبصر واعتبار، وحكمة إثبات في الوقت نفسه لمزيد من عناية الأمة بقرآنها العظيم.. (ينظر: التفسير التحليلي لسورة النساء ص: ١٤).

آيات الحكمة في سورة الإسراء

بني إسرائيل والكهف ومريم: "إِنَّهِنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُولِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي" (١)
وبتلك التسمية ترجم الإمام البخاري للسورة في صحيحه عند سياق هذا الحديث
في كتاب التفسير.

وفي جامع الترمذي في أبواب الدعاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كَانَ
النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ" (٢)
وبتلك التسمية أيضاً ترجم الإمام الترمذي للسورة في أبواب التفسير (٣).

وأخرج أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ بسنده أن مجاهداً سأل ابن
عباس - رضي الله عنهما - عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي فقال: سورة
الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة وهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة (قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ..) إلى تمام الآيات الثلاث.. - إلى أن قال -.. وسورة
بني إسرائيل والكهف ومريم.. الخ" (٤)

وعقب الإمام السيوطي على هذا الأثر بقوله " هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيد،
رجالهم كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين" (٥)

وذكر البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالاً: أنزل

(١) صحيح البخاري كتاب تفسیر القرآن، باب سورة بني إسرائيل [الإسراء] رقم الحديث ٤٤٣١. ومعنى "إِنَّهِنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُولِ" أي: نزولهن متقدم " وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي " أي مما حفظته قديماً والتليد والتالد ضد الطريف فالتليد القديم والطريف المستحدث. [كشف المشكل من حديث الصحيحين لـ/ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط/ دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م].

(٢) سنن الترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ٢١ حديث رقم: ٢٩٢٠، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب

(٣) ينظر: سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ١٨.

(٤) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٢٣٨ - مطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة.

(٥) الإتيان في علوم القرآن ١ - ٢٤.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك.. -إلى أن قالوا -: ".. وبني إسرائيل.. الخ. (١)
وعزى الإمام السيوطي لابن الضريس في فضائل القرآن عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - تسمية هذه السورة ببني إسرائيل. (٢)
هذا هو المأثور من أسماء السورة الكريمة.
ثانيا: وأما المشهور منها فهو: سورة الإسراء قال الإمام الطاهر بن عاشور -رحمه
الله-: "سميت في كثيرٍ من المصاحف سورة الإسراء، وصرح الألويسي بأنها سميت
بذلك، إذ قد ذُكر في أولها الإسراء بالنبي ﷺ واختصت بذكره" (٣)
ثالثا: أما تسميتها بسورة " سبحان " فقد نص عليه الإمام الألويسي ولم يعزه إلى
أحد. (٤)

وعزاه الطاهر بن عاشور للفيروزآبادي في كتابه بصائر ذوى التمييز معلا ذلك بأن
السورة افتتحت بهذه الكلمة. (٥)
وهذه التسمية الأخيرة من قبيل " المجاز المرسل من إطلاق الجزء على الكل، أو
استعارة مكنية الجامع فيها بين المشبه المذكور والمشبه به المحذوف هو مطلق التمييز
الحاصل في كل.

وجه التسمية بهذه الأسماء:

وقد ذكر علماء التفسير وعلوم القرآن أن التسمية إن كانت من هذا القبيل فإنه لا

(١) دلائل النبوة ٧ - ١٤٢ للإمام البيهقي. ط / دار التراث / الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢) الإتيقان ١ / ٢٦ - ٢٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٥ - ٥ للشيخ / الطاهر بن عاشور. ط / دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس -
١٩٩٧ م.

(٤) ينظر: روح المعاني ١٥ - ٢.

(٥) التحرير والتنوير ١٥ - ٥. وينظر: بصائر ذوى التمييز ١ - ٢٨٨ ل/ الفيروزآبادي. ط / المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

يطلب لها سر سوى مجرد التمييز لها عمّا عداها من السور" (١)
أما الاسمان السابقان وهما " بنو إسرائيل " أو " الإسراء " فهما من قبيل التسمية
بالعلم وحيث يطلب لهما سرٌّ، فما هو أقرب السبل للوقوف على سرّ تسمية السورة
بهذين الاسمين؟

بداية يدلنا الإمام الزركشي على وجه اختصاص كل سورة بما سميت به
فيقول: "لاشك أنّ العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذَ أسماءها من نادر أو
مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق
لإدراك الرائي للمسمّى. ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر
فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم
لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها. وسميت سورة النساء،
بهذا الاسم لما تردّد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها
من تفصيل أحوالها وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها؛ إلا أنّ التفصيل الوارد في
قوله - تعالى - : (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرْشَاءٌ) إلى قوله (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) (٢) لم يرد في
غيرها؛ كما ورد ذكر النساء في سورٍ إلا أنّ ما تكرر وبُسط من أحكامهنّ لم يرد في غير
سورة النساء. وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها" (٣)
فالتسمية إذاً تكون بأغرب شيء ذكر في السورة أو بندرته. وعلى ذلك فتسمية هذه
السورة ببني إسرائيل ظاهر فيها حيث تناولت السورة الكريمة كثيراً من تاريخهم
المليء بالفساد والطغيان والعصيان، وتوعّد الله - تعالى - لهم في الدنيا والآخرة على

(١) بحثان حول سور القرآن " اسم السورة يمثل روحها العام، ترتيب نزول السور القرآنية " ص: ١٩.
لفضيلة الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة ط / دار البصائر الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٤٢ - ١٤٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٢٧٠ - ٢٧١ ط / الحلبي.: ط / أولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ما يفعلونه من ظلم وعدوان..

وقد ذكر ذلك عنهم في بدايات السورة وفي خاتمتها قال - تعالى - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (١)

ثم قال - تعالى - في أواخر السورة الكريمة: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) (٢)

وإذا كانت السورة الكريمة قد سميت بهذا الاسم للعلة السابق ذكرها فإن هذا لدى بعض العلماء لا يكفي مبرراً في تسمية السورة بل لا بد " أن يكون سرُّ التسمية هو بيان أبرز الموضوعات أو الموضوع الأبرز في السورة بحيث يعد هذا الموضوع بمثابة نقطة الارتكاز التي تدور من حولها حلقة موضوعات السورة بأسرها. أو بعبارة أخرى بمثابة المركز للدائرة كما يقول المهندسون. أو بعبارة ثالثة بمثابة المحور للفلك كما يقول الجغرافيون والفلكيون..

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٤ - ٨.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ١٠١ - ١٠٤.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ثم بعد ذلك ننظر في السبب المقتضي لإطلاق اسم السورة بخصوصه على ما يعمله
وسائر الموضوعات الأخرى التي اشتملت عليها السورة" (١)

فما هي موضوعات السورة الكريمة وما هو أظهر موضوع فيها، وكيف يرتبط هذا
الموضوع الأظهر في السورة بتلك التسمية؟

وعن موضوعات السورة الكريمة يذكر لنا الشيخ الطاهر بن عاشور عدة أغراض
لهذه السورة؛ فيذكر أن عمادها الأصلي إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحْيٌ
من الله. وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه.. وذكر أنه معجز.

ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه..
وإبطال إحالتهم أن يكون النبي ﷺ أسري به إلى المسجد الأقصى.. ثم إثبات دلائل
تفرد الله بالإلهية.. وإظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته، وما علّمه الله
المسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم - سبحانه-، ومعاملة بعضهم مع بعض،
والحكمة في سيرتهم وأقوالهم، ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم. (٢)

وبمثل ذلك ذكر صاحب الظلال عند استعراضه لموضوعات السورة الكريمة. (٣)

ولكن كيف ترتبط موضوعات السورة الكريمة بتلك التسمية؟

أو بمعنى أدق ما هو الموضوع الأبرز في السورة والذي تدور في فلكه موضوعات

السورة كلها ثم بيان الرابط بين هذا الموضوع وبين تلك التسمية للسورة الكريمة؟

قلت: من الممكن بعد النظر في أغراض السورة الكريمة - وذلك حسب الاجتهاد

الذي قد يصيب وقد يخطئ- أن نحصل على تلك الإجابة، وبيان ذلك أن اختيار

(١) التفسير التحليلي لسورة النساء ص ١٦، ٢٢. بتصرف

(٢) التحرير والتنوير ١٤ - ٦.

(٣) في ظلال القرآن ٤-٢٢٠٨ للأستاذ/ سيد قطب. ط/ دار الشروق - بيروت - القاهرة. الطبعة: السابعة

عشر-١٤١٢هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

التسمية بـ (بني إسرائيل) لتكون عنواناً على هذه السورة الكريمة ليس فقط لكثرة ذكرهم في السورة الكريمة، وليس فقط لأنهم الموضوع الأظهر في السورة، وإنما لأنهم في الحقيقة يمثلون الخفض بعد الرفع، والضعف بعد العلو واليأس بعد الأمل والطرده بعد القرب والوعيد بعد الوعد..

والمؤمن القارئ للسورة الكريمة عندما يستطلع موضوعات السورة من أوامر ونواهي وتنزيه وتقديس لرب العزة ﷻ والحديث عن إعجاز كلامه فإنه يستقبل كل ذلك في ضوء ذلك العنوان ليكون دائماً منتبهاً وحذراً من المخالفة، وإلا حلَّ عليه ما حلَّ على هؤلاء من الانتكاسة والإبلاس بعد النعمة والإفضال، وما الحديث في السورة عن قوم ثمود وإبليس وفرعون إلا من هذا القبيل؛ فقوم ثمود انتكسوا بعد مجيء الحجة والبيان (وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (١) وإبليس عليه اللعنة انتكس بعد نعمة ورفعة (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَخْتَنَّكَ دُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) (٢)

وفرعون كذلك ارتكس وانتكس بعد مجيء الآيات تلو الآيات (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) (٣)

فتلك التسمية إذاً تدور حول (العلو والرفعة رهن الطاعة، والخفض والطرده رهن

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٥٩.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٦١ - ٦٣.

(٣) سورة الإسراء آية رقم: ١٠١ - ١٠٢.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

المعصية) وبنو إسرائيل أدل النماذج على ذلك.

أما تسمية السورة بالإسراء فلذكر رحلة الإسراء في أول السورة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

لكن كيف تنسحب هذه التسمية على كل موضوعات السورة الكريمة ؟

إن كلمة الإسراء تعني السير ليلًا (٢) وبالتأمل في معنى هذا اللفظ نجد من لوازمه معنى (الانتقال)، وهذا المعنى تدور عليه موضوعات السورة الكريمة إذ كلها تدور في فلك انتقال البشرية من حال إلى حال ؛ من حال الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٣)

ومن الخوف إلى الأمن ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ هُوَ لَأِمْ وَهُوَ لَأِمْ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٤) وقوله - تعالى - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٥) ومن التردد إلى اليقين قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٦) ومن اللجاج

(١) سورة الإسراء آية رقم: ١.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢- ١٩٦. للإمام السيوطي. ط / دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى، ١٩٩٨م.

(٣) سورة الإسراء آية رقم: ٢٢- ٢٣.

(٤) " " " " : ٢٠.

(٥) " " " " : ٣١.

(٦) " " " " : ٥٠- ٥١.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

إلى التسليم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١) ومن دنيء الأخلاق إلى علوها ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٢) ومن التكبر إلى التواضع ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣) ومن التحلل إلى المسؤولية ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٤) وقوله - تعالى - ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٥)

ومن علم اليقين إلى عين اليقين، ومن الوحشة إلى الأنس، ومن بطش الإنسانية إلى هبات الربوبية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٦)

وبالعكس من ذلك فقد تكون النقلة من النعمة إلى النعمة ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٧) ومن القرب إلى الطرد

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٨٥ .

(٢) " " " " : ٣٢ - ٣٤ .

(٣) " " " " : ٣٧ .

(٤) " " " " : ١٣ - ١٤ .

(٥) " " " " : ٣٦ .

(٦) " " " " : ١ .

(٧) " " " " : ١٦ - ١٧ .

آيات الحكمة في سورة الإسراء

والإبعاد ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (١) إلى غير ذلك من موضوعات السورة الكريمة، والتي تدور في فلك الانتقال والتحول من حال إلى حال فالتسمية بالإسراء إذاً مع ما يلزم هذا العلم من معنى الانتقال،..أنسب بموضوعات السورة الكريمة. والله أعلم

الثانية: مكان نزول السورة

أما عن مكية أو مدنية السورة فالسورة مكية عند الجمهور دون استثناء منها كما هو ظاهر فيما سبق عن الحديث عن اسم السورة الكريمة وذلك فيما أخرجه أبو جعفر النحاس بسند جيد - كما ذكر الإمام السيوطي - عن ابن عباس رضي الله عنهما عندما سئل عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي حيث ذكر أن سورة بني إسرائيل مكية دون استثناء شيء منها. (٢)

واستثنى البعض من مكيتها آيتين وهما: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٣).

وقيل: إلا أربعاً، هاتين الآيتين، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٥). وقيل: إلا خمساً، هاته الأربع،

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٦٣.

(٢) الإتيان في علوم القرآن ١ - ٢٤.

(٣) سورة الإسراء آية رقم: ٧٣ - ٧٤.

(٤) " " " " : ٦٠.

(٥) " " " " : ٨٠.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وقوله ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾^(١) إلى آخر السورة. وقيل: إلا خمس آيات غير ما تقدم، وهي المبتدأة بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣)، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٤) وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥) واستثنى البعض أيضاً قوله - تعالى - ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾^(٦)

التعليق والتحقيق: " ولعل منشأ هذه الأقوال - كما ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور - أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها تلك الآيات لا تناسب حالة المسلمين فيما قبل الهجرة فظن أصحاب تلك الأقوال أن تلك الآي مدنية " ^(٧)
وربما استند أصحاب تلك الأقوال إلى آثار تؤيد ما ذهبوا إليه، ولكن عند التحقيق نجد أنها آثار لا تقوم على ساق، وربما صح التأويل في البعض منها لتتفق مع ما ذهب إليه الجمهور.

(١) سورة الإسراء آية رقم: ١٠٧.

(٢) " " " " :٣٣.

(٣) " " " " :٣٢.

(٤) " " " " :٥٧.

(٥) " " " " :٧٦.

(٦) " " " " :٢٦.

(٧) التحرير والتنوير ١٥ - ٦.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

فمثلاً ما استند إليه القائلون باستثناء قوله - تعالى - (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَإَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) من مكية السورة بما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي^(١) عن ابن عباس: أن ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجلنا سنة حتى يهدى إلى آلهتنا، فإن قبضنا الذي يهدى للآلهة أحرزناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة فهم أن يؤجلهم، فنزلت (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) الآية. (٢)

ساق ذلك الإمام السيوطي في اللباب ثم قال: "إسناده ضعيف" (٣) وساقه في الإتيان ثم قال: "هذا يقتضى نزولها بالمدينة وإسناده ضعيف" (٤) ثم إن القول بأن النبي ﷺ هم أن ينظرهم سنة مما لا يجوز في حقه ﷺ ومن ثم قال الإمام ابن الفرج الجوزي معقباً على هذا الخبر: "وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ ولا ما ذكرنا من أنه هم أن ينظرهم سنة وكل ذلك محال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا عنه" (٥).

أما استثناء قوله - تعالى - (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا

(١) هو عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة -، العوفي، الجدلي - بفتح الجيم والمهملة - الكوفي، أبو الحسن. قال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً. كان شيعياً مدلساً. وضعفه أحمد والثوري وهشيم، وسئل أبو زرعة عنه فقال: كوفي لين. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث يكتب حديثه، وقيل ليحي بن معين: كيف حديث عطية؟ قال: صالح.. والله أعلم. (تقريب التهذيب ٢ - ٢٤ ط بيروت، والجرح والتعديل ٦ - ٣٨٢ ترجمة ٢١٢٥ ط/ بيروت الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ - ٣١٩ ط / دار الفكر بيروت ١٩٩٣ م) لابن جرير وابن مردويه.

(٣) لباب النقول في أسباب النزول ص ١٨٢ للإمام السيوطي. مكتبة الإيمان - القاهرة. ط / أولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٤) الإتيان ١ - ٩٣.

(٥) زاد المسير في علم التفسير ٣ - ٤٢. ط / دار الكتاب العربي - بيروت - ط: أولى - ١٤٢٢ هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

لَا يَلْبُثُونَ خِلاَفَكَ إِلَّا قَلِيلًا^(١) فقد أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: "إن كنت نبياً فالْحَقُّ بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فصَدَّقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا فغزوا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض..). إلى قوله: (تحويلاً)^(٢) فأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك وفيها مماتك وفيها تبعث. وقال له جبريل عليه السلام: سل ربك... فإن لكل نبي مسألة. فقال: ما تأمرني أن أسأل؟ قال: (قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) فهو لاء نزلن عليه في رجعته من تبوك.^(٣)

قال الإمام ابن كثير: "في هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس بصحيح؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود، إنما غزاها امتثالاً لقوله - تعالى - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ)^(٤)، وقوله - تعالى - : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)^(٥). وغزاها ليقصص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة، من أصحابه، والله أعلم"^(٦).

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٧٦.

(٢) " " " " : ٧٧.

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ - ٣٢٠) لابن أبي حاتم في تفسيره والإمام البيهقي في دلائله.

(٤) سورة التوبة آية رقم: ١٢٣.

(٥) " " " " : ٢٩.

(٦) تفسير ابن كثير ٥ - ١٠١ ط / دار طيبة - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وساقه كذلك الإمام السيوطي في اللباب ثم قال: "هذا مرسل ضعيف الإسناد" (١) وقد أخرج الترمذي ما هو صريح في مكية قوله - تعالى - : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) (٢) فعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...) الآية. (٣)

واستند من استثنى قوله -تعالى- (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) (٤) " من مكية السورة إلى ما أخرجه الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري لما أنزلت (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطها فذلك". عزاه الهيثمي في المجمع إلى الطبراني ثم قال: "فيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك". (٥)

وقال ابن كثير - رحمه الله - : " هذا الحديث مشكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية، وفذلك إنما فتحت مع خبير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا؟! " (٦) ومما استثنى من مكية السورة قوله - تعالى - (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...) الآية (٧) فقد روى البخاري ومسلم: عن عبد الله قال بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب

(١) لباب النقول ص ١٨٣ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٨٠ .

(٣) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ١٨ ومن سورة بني إسرائيل حديث رقم: ٣١٣٩ . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

(٤) سورة الإسراء آية رقم: ٢٦ .

(٥) مجمع الزائد ومنبع الفوائد ٧ - ١٣٩ . رقم الحديث: ١١١٢٥ . للإمام: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . ط: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ .

(٦) تفسير ابن كثير ٥ - ٦٩ .

(٧) سورة الإسراء آية رقم: ٨٥ .

آيات الحكمة في سورة الإسراء

المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه شيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقلت فلما انجلى عنه فقال (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا). (١)

وقد أخرج الترمذي ما يؤيد مكية الآية من سورة الإسراء فعن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل فقال سلوه عن الروح قال فسألوه عن الروح فأنزل الله (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) قالوا أوتينا علماً كثيراً التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً فأنزلت (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ (٢)) إلى آخر الآية. (٣)

قال الإمام السيوطي في اللباب: "قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدد النزول. وكذا قال الحافظ ابن حجر. أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح. قلت: ويرجح به أن روايه حاضر القصة بخلاف ابن عباس" (٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب قول الله - تعالى -: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) رقم: ١٢٥ وأخرجه الإمام مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح رقم: ٢٧٩٤.

(٢) سورة الكهف آية رقم: ١٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ١٨ ومن سورة بني إسرائيل رقم: ٣١٤٠. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الشيخ الألباني. ينظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

(٤) لباب النقول ص ١٨٤.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

قلت: وإذا جاز الجمع بين الأقوال فلا حاجة لدفع بعضها خاصة إذا صح منخرجها. وما قيل هنا يقال أيضاً لمن استثنى قوله -تعالى- (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا) (١) الآية من مكية السورة فقد أخرج الطبري قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن ابن عياش العامري، عن عبد الله بن شداد قال: كان أعراب إذا سلم النبي ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا إبلا وولدا، قال: فنزلت هذه الآية (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا) (٢).

ورجاله رجال الصحيح غير عياش العامري وهو ثقة روى له مسلم والنسائي (٣). وقد أخرج ابن إسحاق بسند رجاله ثقات (٤) ما يدل على مكية الآية من السورة الكريمة، حيث قال: حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو وهو يصلي، استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله -تعالى- (ولا تجهر بصلواتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك، لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع، فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلاً) (٥).

(١) سورة الإسراء آية رقم: ١١٠.

(٢) جامع البيان ١٧ - ٥٨٣. ورواه الواحدي في أسباب النزول ص ١٩٦. ط / دار الحرم للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(٣) ينظر: نهاية السؤل فيما استدرك على الواحدي والسيوطي من أسباب النزول ص ١٥٤ ل/ د أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهرى، ط / دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٣.

(٥) السيرة النبوية ١ - ٢٩٢. ل/ ابن هشام (ط / النور الإسلامية - القاهرة بدون)، ورواه ابن جرير ١٧ - ٥٨٥ ورواه الطبراني في الأوسط ٢ - ١٥ رقم: ١٠٧٦ (ط / دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ هـ) من =

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الثالثة: عدد آيات السورة: أما عن عدد آيات السورة الكريمة فهي مائة وعشر في عدد أهل المدينة، ومكة، والشام، والبصرة. ومائة وإحدى عشرة في عد أهل الكوفة. (١) وذكر الإمام الثعلبي أن عدد كلمات السورة الكريمة ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وأن عدد حروفها ستة ألف وأربعمائة وستون حرفاً. (٢)

الرابعة فضلها: أما عن بيان فضل هذه السورة الكريمة فقد ثبت في الصحيح قول ابن مسعود رضي الله عنه في بني إسرائيل والكهف ومريم: "إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي" (٣)

ومراد ابن مسعود أنهم من أول ما تعلم من القرآن وأن لهم فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم. (٤)

وثبت كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل (٥) ويزاد على ذلك ما ورد بخصوص الآيات محل البحث كما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال: إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل ثم تلا (لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) (٦)

هذا هو الثابت في فضل السورة الكريمة أما ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ سورة

= طريق محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق به ونقله ابن كثير في تفسيره ٥ - ١٢٩ وأورده السيوطي في الدر ٥ - ٣٤٩ وزاد نسبه لابن مردويه.

(١) التحرير والتنوير ١٥ - ٦.

(٢) الكشف والبيان ٦ - ٥٤ للإمام / الثعلبي. ط / دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان - بتاريخ ١٤٢٢-٢٠٠٢ م.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري ٨ - ٣٨٨ للإمام / ابن حجر العسقلاني. ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية " فحديث موضوع. (١)

وهذا الحديث معروف بحديث أبي بن كعب المشهور في فضائل السور " سورة سورة " يذكره الواحدي والثعالبي في أوائل السور والزمخشري في آخرها، وهو حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ - كما ذكر العلماء. (٢)

الخامسة: معنى الحكمة وسبب تسمية هذه الآيات

تدلُّ مادة (حكم) - من الحاء والكاف والميم - على أصل واحد، وهو المنع (٣) وسميت الحكمة على وزن قصبة الدابة بذلك لأنها تذلُّ لها لراكيها حتى تمنعها الجراح ونحوه واشتقت الحكمة منها لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأزدال (٤) وتعددت التعريفات لها فقليل:

" الحكمة (العلم) بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها " (٥) وقيل: " الحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع

-
- (١) ينظر: السراج المنير ٢-٣٨٢ للإمام / الخطيب الشربيني. ط / دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٢) قال ابن الصلاح في مقدمته في النوع الحادي والعشرين (معرفة الموضوع): " قد وُضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركافة ألفاظها ومعانيها... إلى أن قال: " وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي - ﷺ - في فضل القرآن سورة سورة. بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وأن أثر الوضع لبين عليه. ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم. والله أعلم. [مقدمة ابن الصلاح ص ٤٧ مكتبة المتنبى].
- (٣) معجم مقاييس اللغة ٢ - ٩١ ل/ ابن فارس. ط / دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- (٤) المصباح المنير ١ - ١٤٥ ل/ أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. ط / المكتبة العلمية - بيروت.
- وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٣ - ٥١. ل/ ابن سيده. ط / بيروت ٢٠٠٠ م، ولسان العرب ١٢ - ١٤٠ ل/ ابن منظور ط / دار صادر - بيروت.
- (٥) تاج العروس ١٣ - ٥١٢ ل/ أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي. ط / دار الهداية.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

المعبر عنه بمعرفة ما لها وما عليها المشار إليه بقوله - تعالى - (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^(١)). (٢)

وقيل: "الحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ومن الإنسان معرفته وفعل الخيرات" (٣).

وقيل: "الحكمة، معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والعلم والتفقه" (٤).
وعرفها الإمام ابن عطية فقال: "الحكمة) قوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة" هـ- (٥)

وقد وردت الحكمة بمعنى (الحلم) وهو: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب.. (٦)

وتأتي أيضاً بمعنى العدل والعلم والحُكم.. ووضع الشيء في موضعه وصواب الأمر وسداده وأفعال الله كذلك لأنه يتصرف بمقتضى الملك فيفعل ما يشاء وافق غرض العباد أم لا. (٧)

وتأتي أيضاً بمعنى (القرآن) (والتوراة) (والإنجيل) لتضمن كل منها الحكمة المنطوق بها وهى أسرار علوم الشريعة والطريقة، والمسكوت عنها وهى علم أسرار الحقيقة الإلهية وقوله - تعالى - : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٦٩.

(٢) الكلبيات ١ - ٥٩٦ ل/ أبي البقاء الكفومي. ط / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) تاج العروس ٣١ - ٥١٣.

(٤) المعجم الوسيط ٢٢٠ مجمع اللغة العربية. ط / مكتبة الشروق الدولية. الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٥) المحرر الوجيز ٣ - ٤٧١. ط / دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

(٦) تاج العروس ١٣ - ٥١٣.

(٧) ينظر: الكلبيات ١ - ٥٩٦.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) فالمراد به تأويل القرآن وإصابة القول فيه، وتطلق الحكمة أيضا على طاعة الله والفقه في الدين والعمل به والفهم والخشية والورع والإصابة والتفكر في أمر الله واتباعه..

وقوله - تعالى -: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ^(١)) وقوله - تعالى -: (وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ^(٢)) وقوله - تعالى -: (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ^(٣)) فالحكمة في كل ذلك بمعنى (النبوة) والرسالة. (٤)

والإفراط في الحكمة يسمى (الجريزة) وهي استعمال الفكر فيما لا ينبغي كالمتشابهات وعلى وجه لا ينبغي كمخالفة الشرائع والتفريط فيها يسمى الغباوة التي هي تعطيل القوة الفكرية والوقوف عن اكتساب العلم وهذه الحكمة غير الحكمة التي هي العلم بالأمر التي وجودها من أفعالنا بل هي ملكة تصدر منها أفعال متوسطة بين أفعال الجريزة والبلاهة " (٥)

إذاً فمن إطلاقات الحكمة: العدل والعلم والحكم، ولا شك أن أفعال الله - تعالى - وأقواله كذلك.. وعليه فتسمية تلك الآيات بأنها من الحكمة لما تضمنته من أوامر ونواهي هي في حقيقة الحال عين العدل، وصواب الأمر، وهي في النهاية تعود إلى المعنى الحقيقي للحكمة وهو (المنع) حيث إنَّ الأوامر والنواهي التي اشتملت عليها تلك الآيات مانعة من الانحراف والضلال، ومانعة من عذاب الله ومسائلته إذا أداها الفرد والمجتمع على وجهها.. كما أنها حصن حصين للحياة بكافة أشكالها

(١) سورة آل عمران آية رقم: ٤٨.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٥١.

(٣) سورة ص آية رقم: ٢٠.

(٤) تاج العروس ١٣ - ٥١٣. بتصرف

(٥) الكليات ١ - ٥٩٦.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وصورها.. ومن ثمَّ فهي أخلاق لا تتبدل ولا تتغير يقول الإمام الرازي - رحمه الله -: " سماها حكمة، وإنما سماها بهذا الاسم لوجوه: أحدها: أنَّ حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والإعراض عن الدنيا والإقبال وثانيها: أنَّ الأحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الأديان والملل ولا تقبل النسخ والإبطال، فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار.

وثالثها: أنَّ الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، فالأمر بالتوحيد عبارة عن القسم الأول وسائر التكاليف عبارة عن تعليم الخيرات حتى يواظب الإنسان عليها ولا ينحرف عنها، فثبت أن هذه الأشياء المذكورة في هذه الآيات عين الحكمة. (١)

على الآخرة، والعقول تدل على صحتها. فالآتي بمثل هذه الشريعة لا يكون داعياً إلى دين الشيطان بل الفطرة الأصلية تشهد بأنه يكون داعياً إلى دين. وقد آن الأوان لتناول تلك الآيات بالتحليل والبيان لتعرف أكثر وأكثر على ما حوته من منهج عقدي وسلوكي.

بادئ ذي بدء فإن هذه الآيات الكريمة يمكن تقسيمها إلى عدة تقسيمات؛ فتقسم مثلاً إلى موضوعين أساسيين هما العقيدة والأخلاق بكافة صورها من معاملات وآداب وفضائل وسلوك بين الأفراد والجماعات..

ومن الممكن أن تقسم إلى خمسة موضوعات هي في حقيقتها الأصول الخمسة للإسلام وهي:

- الإيمان بالله وما يتبعه من الإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر

(١) مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٤٤. للإمام/ فخر الدين الرازي. ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

خيره وشره - وحفظ النفس - وحفظ العقل - وحفظ النسل - وحفظ المال. (١)
أو تقسم - كما يرى البعض - إلى وصايا عشر كما هو الحال في الآيات الثلاث من
سورة الأنعام في قوله - تعالى - (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢)
وقد أطلق العلماء على هذه الآيات الكريمة اسم " الوصايا العشر " نظراً لتذليل
آياتها الثلاث بقوله - تعالى - (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ). (٣)

وروى الترمذي - بسنده - عن ابن مسعود أنه قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ
الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ). إلى قوله: (لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ). (٤)

وهي ما اشتملت عليه التوراة وفي ذلك يروى عن كعب الأحبار أنه قال: أول ما

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ١ - ٢١٨ محمد عبد العظيم الزرقاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي.

ط/ الثالثة

(٢) سورة الأنعام آية رقم: ١٥٠ - ١٥٣.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٥ - ٢١٢ ل/ أ د/ محمد سيد طنطاوي. ط/ دار نهضة مصر -
القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٧ م.

(٤) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ٧ ومن سورة الأنعام رقم: ٣٠٧٠ قال أبو
عيسى: " هذا حديث حسن غريب ".

آيات الحكمة في سورة الإسراء

أنزل في التوراة عشر آيات، وهي العشر التي أنزلت من آخر الأنعام (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) إلى آخرها. (١)

وقد سبق ذكر ما روي عن ابن عباس في آيات سورة الإسراء أنه قال: "التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل". وفي رواية عنه: "ثمان عشرة آية منها كانت في ألواح موسى" أي من قوله - تعالى - : (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) إلى قوله: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) (٢)

" ويعني بالتوراة: الألواح المشتملة على الوصايا العشر، وليس مراده أن القرآن حكي ما في التوراة ولكنها أحكام قرآنية موافقة لما في التوراة.

على أن كلام ابن عباس معناه: أن ما في الألواح المذكور في تلك الآي، ولا يريد أنهما سواء، لأن تلك الآيات تزيد بأحكام، منها قوله: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) إلى قوله: (لِرَبِّهِ كَفُورًا) (٣)، وقوله: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) (٤)، وقوله: (وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ) إلى قوله: (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) (٥)، مع ما تخلل ذلك كله من تفصيل وتبيين عربت عنه الوصايا العشر التي كتبت في الألواح" (٦).

والوصايا العشر المذكورة في التوراة أولها: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك إله غيري. ومنها: أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك

(١) عزاه السيوطي في الدر [٣ - ٣٨١] لـ/ ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن المنذر.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٢٢ - ٣٩.

(٣) " " " " : ٢٥ - ٢٧.

(٤) " " " " : ٣١.

(٥) " " " " : ٣٤ - ٣٩.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٤ - ٨.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

شهادة زور، لا تشته بنت قريبك، ولا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك. (١)

وقد تقسم آيات الإسراء تقسيماً تفصيلاً وذلك حسب الأوامر والنواهي الواردة فيها " وقد بلغت - كما ذكر الإمام الرازي رحمه الله - خمسة وعشرين نوعاً من التكليف. أولها: قوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) [الإسراء: ٢٢] وقوله: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [الإسراء: ٢٣] مشتمل على تكليفين: الأمر بعبادة الله - تعالى -، والنهي عن عبادة غير الله، فكان المجموع ثلاثة. وقوله: (وبالوالدين إحساناً) [الإسراء: ٢٣] هو الرابع، ثم ذكر في شرح ذلك الإحسان خمسة أخرى وهي: قوله: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) * واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا) [الإسراء: ٢٤، ٢٣] فيكون المجموع تسعة، ثم قال: (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ) وهو ثلاثة فيكون المجموع اثني عشر. ثم قال: (وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدُّرًا) [الإسراء: ٢٦] فيصير ثلاثة عشر. ثم قال: (وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) وهو الرابع عشر ثم قال: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩، ٢٨] إلى آخر الآية وهو الخامس عشر، ثم قال: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) [الإسراء: ٣١] وهو السادس عشر، ثم قال: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) وهو السابع عشر ثم قال: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا) وهو الثامن عشر، ثم قال: (فَلَا يُسْرِفِ فِي الْقَتْلِ) [الإسراء: ٣٣] وهو التاسع عشر، ثم قال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) [الإسراء: ٣٤] وهو العشرون. ثم قال: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ) وهو الحادي والعشرون، ثم قال: (وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ) [الإسراء: ٣٥] وهو الثاني والعشرون، ثم قال: (وَلَا تَقْفُ مَا

(١) فتح القدير ٢ - ٢٠٣. للإمام الشوكاني ط / دار الكلم الطيب - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] [الإسراء: ٣٦] وهو الثالث والعشرون، ثم قال: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) [الإسراء: ٣٧] وهو الرابع والعشرون، ثم قال: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) وهو الخامس والعشرون، فهذه خمسة وعشرون نوعاً من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواه جمعها الله - تعالى - في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا) [الإسراء: ٢٢] وخاتمتها قوله: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) (١).

قلت: تلك تقسيمات متعددة لهذه الآيات الكريمة وقد رأيت أن أمضي في شرح وبيان تلك الآيات من خلال تقسيمها إلى وصايا وذلك تسهياً على القارئ الكريم ولأنها أنسب بمقام وحال هذه الآيات التي هي في الحقيقية دعوة من الله لعباده إلى المنهج القويم والصراط المستقيم وعلى الله قصد السبيل.

(١) مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٤٣.

المبحث الأول: الوصية الأولى من آيات الحكمة: النهي عن الإشراك

بِاللَّهِ - تعالى - وبيان عاقبة الإشراك به

قال - تعالى - : (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا) (١).

أولى الوصايا وخاتمتها النهي عن الإشراك بالله - تعالى - إذ لا يصلح منهج إلا من خلال التوحيد، ولا يستقيم سلوك إلا بنفي الشرك عن الله - تعالى - .
والآية الكريمة تنهى عن الشرك وتظهر عاقبته بأسلوب عجيب يستدعي التدبر والتفكير، وبيان ذلك:

أولاً: مجيء النهي في الآية الكريمة عن طريق خطاب المفرد (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ..).

وفي ذلك ما فيه من إلقاء المسؤولية على كل فردٍ بعينه ممن يصلح للخطاب تجاه قضية التوحيد.

" ومن ثمَّ أُوثر الخطاب للمفرد رغم عموم الأمر ليحس كل أحد أنه أمر خاص به، صادر إلى شخصه. فالاعتقاد مسألة شخصية مسؤول عنها كل فرد بذاته". (٢)

وقد يكون المخاطب بهذا الكلام هو النبي ﷺ والمقصود أمته على طريقة " إياك أعني فاسمعي يا جارة" يقول الإمام الطبري - رحمه الله - : وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب لنبي الله ﷺ، فهو معنيٌّ به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جلَّ وعزَّ" (٣).

ولا يصح أن يخاطب النبي ﷺ بذلك على سبيل الحقيقة ؛ إذ الشرك في حقه غير حاصل لا حالاً ولا استقبالاً لعصمته منه ﷺ وإنما يجوز أن يكون الخطاب له ﷺ في الآية

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٢٢ .

(٢) في ظلال القرآن ٤ - ٢٢٢٠ .

(٣) جامع البيان ١٧ - ٤١٢ . ينظر: روح المعاني ١٥ - ٥٢ .

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الكريمة على طريق التهييج والإلهاب وإقنات الكفرة، والإيدان بغاية شناعة الإشراف وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ (١).

والقول الأول بأن الخطاب لكل فرد بعينه ممن يصلح للخطاب هو الأولى.. ويؤيده أنه - تعالى - عطف عليه قوله: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) إلى قوله: (إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) (٢) وهذا لا يليق بالنبي ﷺ، لأن أبويه ما بلغا الكبر عنده فعلم بذلك أن المخاطب بهذا هو نوع الإنسان. (٣)

ثانياً: التعبير عن النهي عن الشرك بقوله (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) دليل على أن التوحيد هو الأصل والحقيقة، وأن الإشراف ما هو إلا تغطية لهذه الحقيقة بدليل ما يجار به المشرك من التوحيد وقت الشدة والهلاك.. كما ذكر القرآن الكريم ذلك في مواضع متعددة منها قوله - - تعالى - (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنَّا نَجَّيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (٤) وقوله - تعالى - (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) (٥) وقوله - تعالى - في شأن فرعون (حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (٦).

(١) استفاد من روح المعاني ١٣ - ٣٧ وينظر: إرشاد العقل السليم ٥ - ١٦٥ للإمام أبي السعود. ط / دار إحياء التراث العربي - بيروت. والسراج المنير ٢ - ٢٣٠.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب ١٠ - ١٤٩ وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) ٣ - ١٢٦. ط / دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

(٤) سورة يونس آية رقم: ٢٢.

(٥) سورة العنكبوت آية رقم: ٦٥.

(٦) سورة يونس آية رقم: ٩٠.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

و(الجعل) في الآية بمعنى القول والحكم^(١) مثل قوله - تعالى - (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)^(٢) كما تقول: جعلت زيدا أفضل الناس، أي: أي وصفته بذلك وحكمت به.^(٣)

ثالثاً: ذكر كلمة (آخر) في قوله (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)، وذلك للتصريح بألوهيته - تعالى - وللدلالة على عدم الشريك فيها^(٤) على معنى أن ألوهيته عامة وكافية لجميع خلقه، فما فائدة ادعاء آخرين معه في ألوهيته؟ - تعالى - الله عن ذلك علواً كبيراً.

رابعاً - ترتب الذم والخذلان على من جعل لله - تعالى - شريكاً وذلك لأنَّ الشرك محاولة يائسة للاقتناع بالمتناقضات في آنٍ واحد، وإعطاء الحق لمن ليس له أهل.

وتصور الآية الكريمة عاقبة المشرك (فَتَقَعْدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) ليس بحسب الظاهر إذ هو في ذهاب وإياب وسكون وحركة.. وإنما هي حالة انهزام عقلي وردة فطرية.. فهو

(١) يأتي (الجعل) بمعنى الخلق ويتعدى بهذا المعنى إلى مفعول واحد ومنه قوله - تعالى - (وجعل الظلمات والنور) [الأنعام ١] ويأتي بمعنى التصيير، ويتعدى بهذا المعنى إلى مفعولين، والتصيير يكون بالفعل نحو (جعلت الفضة خاتماً) وبالقول غير مستند إلى وثوقه نحو (جعلت زيدا أميراً) وبالعقد نحو (جعلت زيدا قائماً) وهو اعتقاد كون الشيء على صفة اعتقاداً غير مطابق للواقع. ويكون الجعل بمعنى الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان نحو (جاعلوه من المرسلين) [القصص ٧] أو باطلاً نحو (الذين جعلوا القرآن عضين) [الحجر ٩١] وبمعنى بعث نحو (وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) [الفرقان ٣٥] وبمعنى قال نحو (وجعلوا لله أندادا) [إبراهيم ٣٠].. الخ. [ينظر الكليات ١ - ١٩]

(٢) سورة الزخرف آية رقم: ١٩.

(٣) ينظر: روح المعاني ٢٥ - ٧١، والجامع لإحكام القرآن ١٦ - ٧٣. للإمام القرطبي. ط / دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م

(٤) روح المعاني ١٨ - ٧١.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

في داخله في حالة سبات بل قُلْ في حالة موت كما قال - تعالى - (أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (١)

يقول صاحب الظلال: "ولفظ (فتقعد) يصور هيئة المذموم المخذول وقد حطَّ به الخذلان فقعدَ، ويلقي ظل الضعف، فالقعود هو أضعف هيئات الإنسان وأكثرها استكانة وعجزاً، وهو يلقي كذلك ظل الاستمرار في حالة النبد والخذلان، لأن القعود لا يوحي بالحركة ولا تغير الوضع، فهو لفظ مقصود في هذا المكان" (٢).

وهذه معان تلقي بها ظلال الكلمة إذ حقيقة القعود معروفة، وربما قصد المعنى الحقيقي هنا لأنَّ من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائراً متفكراً، وعبر بغالب حاله وهي القعود. (٣)

وذكر الزمخشري - رحمه الله - أن القعود يستعمل عند العرب بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة، بمعنى صارت. (٤)

"وغالب المذكور لمعنى (تقعد) في الآية الكريمة معنى مجازي؛ فهو إما بمعنى المكث أي فيمكث في الناس (مذموماً مخذولاً) كما تقول لمن سأل عن حال شخص هو قاعد في أسوأ حال، ومعناه ماكث ومقيم، وسواء كان قائماً أم جالساً.

وقيل بمعنى العجز والعرب تقول: ما أقعدك عن المكارم أي ما أعجزك عنها.

فـ(تقعد) على هذا إما مستعار لمعنى المكث والدوام أو هو كناية عن العجز" (٥).

(١) سورة النحل آية رقم: ٢١ .

(٢) في ظلال القرآن ٤ - ٢٢٢٠ .

(٣) البحر المحيط ٧ - ٣٠ للإمام أبي حيان. دار الفكر - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٤) الكشاف ٢ - ٦٥٧ .

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧ - ٣٠ والتحرير والتنوير ١٥ - ٦٤، وحاشية القونوي على البيضاوي ١١ -

٤٧٦. ط / دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ومعنى المذموم هنا: هو من يلحقه الذم من الله ومن العقلاء من الناس.
حيث أشرك بالله ما لا ينفع ولا يضر، ولا يقدر على شيء.
والمخذول: هو الذي لا ينصره من كان يؤمل منه النصر. ومنه قوله:
إِنَّ الْمَرْءَ مِيتًا بِأَنْقِضَاءِ حَيَاتِهِ *** وَلَكِنْ بَأَنْ يُبْعَى عَلَيْهِ فَيُخَذَلَا. (١)

المبحث الثاني: الوصية الثانية:

الأمر بعبادة الله - تعالى - مع الأمر ببر الوالدين

قال - تعالى -: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا) (٢)

تبدأ تلك الوصية الثانية بالأمر بعبادة الله - تعالى - بعد النهي عن الشرك به تنبيهاً
على أن إصلاح الأعمال متفرع على نبذ الشرك (٣)

ولما كان الأبوان كالمخرج للإنسان من العدم إلى الوجود في عالم الأسباب عطف
- سبحانه - برهما على الأمر بعبادته وفي ذلك إشارة إلى أنه ليس بعد رعاية حق الله -
تعالى - شيء أوجب من رعاية حق الوالدين، لأن الله - تعالى - هو الذي أخرج

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ - ٨٥. ل/ الشنقيطي ط / دار الفكر - بيروت - ٤١٥ هـ -
١٩٩٥ م. والبيت المذكور يستشهد به الكوفيون خلا الفراء أن (إن) النافية تعمل عمل (ليس)،... وهذا
بخلاف قول البصريين والفراء أنها لا تعمل شيئاً. (شرح ابن عقيل ١ / ٣١٧ - ٣١٨. ط: دار الفكر -
دمشق. الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.) وهذا الشاهد مع كثرة دورانه في كتب النحو = لم يعلم له قائل. والله
أعلم. (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ١ - ٤٥٦ ل/ عبد القادر بن عمر البغدادي. ط/ دار الكتب
العلمية بيروت ١٩٩٨ م.)

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٢٣ - ٢٥.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١٥ - ٦٥.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الإنسان من العدم إلى الوجود في الحقيقة، والوالدان هما اللذان أخرجاه إلى عالم الوجود في عالم الأسباب الظاهرة، فثبت أن حقهما أعظم من حق غيرهما فلهذا أوجب تقديمهما على غيرهما في رعاية الحقوق. (١)

وتفصيل تلك الوصية كما يلي:

- الأمر في الآية الكريمة بعبادة الله - تعالى - على أسلوب الحصر (٢) (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰهٗ). ونكتة هذا الحصر مجيئه على طريق النفي والاستثناء والذي من شأن الحكم فيه أن يجهله المخاطب وينكره، ويصر على إنكاره. ومن هنا كان طريق النفي والاستثناء أقوى في التأكيد لما فيه من وضوح معنى القصر. (٣)

- التعبير بـ (قضى) دون (أمر) للدلالة على أن أمر عبادته - تعالى - وحده كأنه من

(١) مفاتيح الغيب ٦ - ٣٨٢.

(٢) الحصر أو القصر من الأساليب البلاغية الدقيقة، وفيه شيء من الإيجاز، فجملة القصر تقوم مقام جملتين.. وهو لغة: الحبس، واصطلاحاً: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص.

وطرق القصر المصطلح عليها عند علماء البلاغة هي: النفي والاستثناء، إنما، التقديم، العطف بـ "لا" لكن، بل - وزاد بعضهم: ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، وتعريف المسند إليه أو المسند بـ "لام الجنس".

والقصر في الآية قصر حقيقي: وهو ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلاً، في الحقيقة والواقع ويسمى قصرًا حقيقياً تحقيقاً.

[مستفاد من: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للإمام سعد الدين التفتازاني ص ٣٨١ - ط - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ص ٤٣. للإمام السيوطي - ط - مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.]

(٣) يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هذا إلا كذا.. فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه.. وإذا رأيت شخصاً من بعيد، فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزید..هـ" [دلائل الإعجاز ص ٣٣٢ مكتبة الخانجي - القاهرة / ط الثالثة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.]

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الأمر الفطرية، وأنَّ على الإنسان المختار أن ينسجم مع هذه الحال ولا يخالفها. وليس المراد بـ (القضاء) هنا معنى (القدر)، ولو كان على القضاء ما عصى الله أحدٌ قط، لأنَّ خلافَ قضاء الله ممتنع، قال ابن الأنباري: هذا القضاء ليس من باب الحتم والوجوب، لكنه من باب الأمر والفرض. (١)

وقد تراءى للبعض -حسب روايات لم تثبت- أنَّ قضى في الآية كان أصلها (ووصى ربك) فالتصقت إحدى الواوین بالصاد فقريئ: (وقضى ربك) وظن ذلك خروجاً من الإشكال الذي يوحى به لفظ القضاء من الحتم والوجوب، وهو ما يتعارض مع ما هو واقع من أمر الشرك. ولينظر القارئ الكريم تحقيق تلك المسألة في الهامش إن شاء. (٢)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٢١، وزاد المسير ٣ - ١٧.

(٢) في تضعيف هذا القول - بأن قضى في الآية كان أصلها (ووصى ربك) فالتصقت إحدى الواوین بالصاد فقريئ: (وقضى ربك)- عدة أمور:

أولاً: إن الآثار المروية في هذا الشأن أكثرها من المقطوع على التابعين " قتادة والضحاك وابن مزاحم " وما روي موقوفاً على ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب فهذا إن ثبت عنهم يحمل على أن ذلك تفسير منهم لمعنى القضاء في الآية.

ثانياً: أن من حمل القراءة في " وقضى " بأن أصلها " ووصى " يشبهون علينا بقولهم: "إنها لو نزلت " وقضى " أي على القضاء، ما أشرك بالله أحد - ويصير القضاء أخو القدر وما قدره الله لا بد من وقوعه لا محالة فلو قضى ألا يعبد إلا إياه لما كان هناك مشرك أو كافر به ﷻ.

وهذا إن صح عمن زعم أن أصل " وقضى " هو " ووصى " لأجل هذه الشبهة ؛ فهذا يعتبر جموداً عند مدلول واحد من مدلولات اللفظ ؛ لأن هذا اللفظ وهو القضاء له مدلولات متعددة فهو في هذا الموضوع مثلاً (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ... الآية) معناه " أمر "، والقضاء أيضاً بمعنى الخلق كقوله - تعالى - : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) (فصلت ١٢) يعني " خلقهن " والقضاء بمعنى الحكم كقوله - تعالى - : (فَأَقْضِي مَا أَنْتَ قَاضٍ) (طه ٧٢) يعني " احكم ما أنت تحكم " والقضاء بمعنى الفراغ كقوله - تعالى - : (فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (يوسف ٤١) أي فرغ منه، ومنه قوله - =

آيات الحكمة في سورة الإسراء

=تعالى - (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ) (الجمعة ١٠) والقضاء بمعنى الإرادة كقوله - تعالى - (فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَاِنَّهٗ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (غافر ٦٨) والقضاء بمعنى العهد كقوله - تعالى - (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ) (القصص ٤٤) إلى آخر تلك الوجوه التي استوعبها إسماعيل بن أحمد النيسابوري كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٤١-٨).

فإذا كان لفظ " القضاء " يحتمل تلك المعاني - والتي سبق ذكر بعضها - فإنه وبجانب مسألتنا تلك لا يجوز أيضاً إطلاق القول بأن المعاصي بقضاء الله ؛ لأنه إن أريد به الأمر فلا خلاف أنه لا يجوز ذلك لأن الله - تعالى - إنما يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، وقد جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: إني طلقت امرأتي ثلاثاً فقال: إنك قد عصيت ربك وبانت منك فقال الرجل: قضى الله ذلك علي، قال الحسن - وكان فصيحاً -: " ما قضى الله ذلك ! أي ما أمر به وقرأ هذه الآية " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ". (أخرجه الطبري ١٧-٤١٣)

وهذا الاستدلال من الحسن يدل على حمل القضاء في الآية على الأمر ولو أنه حمله على ما قضاه الله ﷻ في علمه الأزلي وأنه كائن لا محالة لما حسن الاستدلال به على الرجل.

وعلى هذا صح أن يكون القضاء في الآية بمعنى أمر والزم وأوجب وهو ما روي أيضاً عن ابن عباس والحسن وقتادة (جامع البيان ١٧-٤١٣)

ثالثاً: لم يذكر ابن حجر ورود ذلك إلا عن الضحاك ثم قال بعد أن ذكر ذلك عنه: " كذا قال واستنكره منه ". (فتح ٨ - ٣٨٩).

قلت: فلتن ثبت حصر هذا القول عن الضحاك فيمكن الطعن في هذا الأثر بالآتي:

أولاً: ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن الضحاك بن مزاحم لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع وإن كان قد روي عنه أنه جاوره سبع سنين وذكره ابن حبان في الثقات وقال: " لم يشافه أحداً من الصحابة ومن قال: إنه لقي ابن عباس فقد وهم. ه- (البداية والنهاية ٥ - ٢٢٩ ل/ ابن كثير. ط / دار الحديث- الخامسة- ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).

ثانياً: ساق الإمام الطبري هذا الأثر عن الضحاك فقال: ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن ابن إسحاق الكوفي عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها " ووصى ربك " وقال: إنهم الصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً " (جامع البيان ٨ / ١٥-٤٧)

ففي هذا السند أبو إسحاق الكوفي ضعفه النسائي وابن معين وابن حجر وجماعة (ينظر ترجمته في: تقريب التهذيب ١-٤٥٥ ط / دار المعرفة- بيروت، وميزان الاعتدال ٤-٢١٠ بيروت)

أما هشيم الذي روى عن أبي إسحاق فهو وإن كان ثقة ثبت إلا أنه كثير التدليس والإرسال الخفي، وقد =

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ثم عطف ﷻ الأمر بالإحسان إلى الوالدين على الأمر بعبادته - تعالى - وحده فقال (وبالوالدين إحساناً) وذلك لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني - وهو التربية - من جهة الوالدين، ولهذا قرن - تعالى - الشكر لهما بشكره فقال: (أن اشكر لي ولو الديك^(١)).

والنهي عن الإشراف يقترن به الإحسان إلى الوالدين فيقول - سبحانه وتعالى - (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^(٢)) وقوله - تعالى - (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^(٣)) وذلك كثير. "^(٤)"
"ولفظ الآية يدل على المبالغة في الإحسان إلى الوالدين وبيان ذلك أنه - تعالى - لم يقل " وإحساناً بالوالدين "، بل قال (وبالوالدين إحساناً) فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام. كما أن كلمة: " إحساناً " جاءت بلفظ التنكير، والتنكير يدل على التعظيم، أي إحساناً عظيماً كاملاً.. "^(٥)"

"و" الباء " في (وبالوالدين إحساناً) يجوز أن تتعلق بـ (قضى) ويجوز أن تكون

= عن هنا (ينظر: التقريب ٢٠ - ٣٢٠ وتهذيب التهذيب ١١ - ٥٣. ط / مجلس دائرة المعارف - النظامية (الهند) بيروت - الأولى - ١٣٢٥ هـ، والتبيين لأسماء المدلسين ١ - ٢٣١ لـ د / إبراهيم بن محمد بن سبط بن العجمي ط الريان).
وبعد: فيكفي أن هذه قراءة شاذة وكل قراءة شاذة فهي غالباً ضعيفة السند - وقد سبق بيان ذلك - والله أعلم

(١) سورة لقمان آية رقم: ١٤.

(٢) سورة الأنعام آية رقم: ١٥١.

(٣) سورة النساء آية رقم: ٣٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢ - ١٣، وزهرة التفاسير ٨ - ٤٣٦١. لـ / أبي زهرة. ط / دار الفكر العربي.

(٥) اللباب في علوم الكتاب ١٢ - ٢٥١ لـ / ابن عادل الحنبلي ط / دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

ط / أولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

متعلقة بفعل محذوف تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً. (١)
ثم أخذت الآية الكريمة تفيض أكثر وأكثر في الوصاية بالوالدين خاصة في مرحلة
الكبر فقال - تعالى - (إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)

وصية في أعلى درجات الرحمة والعطف من جبار السموات والأرض فالويل كل
الويل لمن يخالف أو يعاند..

وكلمة " إِمَّا " في الآية الكريمة مركبة من " إن " الشرطية ودخلت عليها " ما " زيادة في تأكيدها، وإذا كان الأمر كذلك فإن الفعل بعدها تلحقه النون المؤكدة للفعل لكن إذا أفردت " إن " الشرطية ولم تدخل عليها " ما " لم يصح لحق النون التوكيد للفعل بعدها.

فاختيار هذا التركيب في الآية إذاً مما يدل على عظم أمر هذه الوصية. (٢)
وقرأ الجمهور (يبلغن) بنون التوكيد وفاعله حينئذٍ قوله (أحدهما) وقوله (أو كلاهما) عطف عليه كقولك: ضرب زيداً أو عمرو.
وقرأ حمزة والكسائي (يبلغان) وعليه فإن (أحدهما) بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين و(كلاهما) عطف على أحدهما فاعلاً أو بدلاً (٣)
والتعبير ببلوغ الكبر دلالة على الوصول والانتهاء، فكأنهما استنفذا طاقتهما.. مما يؤكد شدة العناية بهما إذا لا غاية بعد ذلك.

(١) المشهور استعمال الإحسان بـ (إلى) وقد يستعمل بالباء أيضاً كما في هذا الموضع، وقيل هذا بتضمين لَطْف وهو الإحسان الخفي. ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤ - ٣٠٧.

(٢) ينظر: روح المعاني ٨ - ٥٤.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٢٤. باختصار

آيات الحكمة في سورة الإسراء

" ولم يستغن بإحدى الحاليتين عن الأخرى كأن يقال " إما يبلغن عندك الكبر أحدهما " دون ذكر " أو كلاهما " ولم يقل " كلاهما " دون ذكر " أحدهما " وذلك لأن لكل حالة بواعث قد تؤدي إلى التفريط في واجب الإحسان إليهما، فقد تكون حالة اجتماعهما عند الابن تستوجب الاحتمال منهما لأجل مراعاة أحدهما لشدة الحب له مثلاً فالتعبير بأحدهما للتنبيه على وجوب المحافظة على الإحسان له ولو لم يكن أحدهما مثل الآخر في شدة الحب له.

كما أن التعبير بـ (كلاهما) لأنه قد تكون حالة انفراد أحد الأبوين عند الابن أخف كلفة عليه من حال اجتماعهما فجاء التعبير بـ " كلاهما " للتحذير من اعتذار الابن لنفسه عن التقصير بأن اجتماع الأبوين أخرج عليه". (١)

وقوله " عندك " أي في كنفك ورعايتك فكأنهما لا ملاذ لهما إلا عندك.. وتقديمه حينئذٍ على المفعول مع أن حقه التأخير عنه للتشويق إلى وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان (٢)

وجملة " فلا تقل لهما أف " جواب الشرط، و " أف " كلمة مقولة لكل شيء مرفوض، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام (أَفُّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (٣)، وهي في الأصل اسم صوت ينبئ عن التضجر أو اسم فعل هو أتضجر. (٤)

ومن عجيب أمر هذه الكلمة أنها وردت من نحو أربعين لغة والوارد من ذلك في القراءات سبع ثلاث متواترة وأربع شاذة، أما الثلاثة المتواترة فهي قراءة الكسر والتشديد مع التنوين " أفُّ " وهي قراءة نافع وحفص، والثانية بالكسر والتشديد لكن

(١) التحرير والتنوير ١٥ - ٦٩.

(٢) روح المعاني ١٥ - ٥٤. بتصرف يسير

(٣) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٧-٣٧ وروح المعاني ١٥ - ٥٥.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

بلا تنوين وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، والثالثة بالفتح والتشديد من غير تنوين وهي قراءة ابن كثير وابن عامر.

أما الأربع الشاذة فهي: قراءة الرفع مع التنوين، والثانية قراءة الرفع من غير تنوين، والثالثة بالنصب والتشديد والتنوين، والرابعة بالنصب وتسكين الفاء. (١)

وتدل كثرة القراءات في هذه اللفظة على شدة النهي عن التضجر من الوالدين مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما بأي صورة من الصور وبأي حال من الأحوال..

" كما أن المقصود من النهي ليس فقط أن يقول لهما " أف " خاصة وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله اللسان بأوجز كلمة، فيفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى " (٢)

ثم خصَّ سبحانه بعض أنواع الإيذاء بالذكر فقال (ولا تنهرهما) والنهر: الزجر بإغلاظ (٣)

لكن إذا كان قول " أف " يفهم منه عدم الإيذاء مطلقاً فلم عطف عليه النهي عن الزجر بإغلاظ؟

قيل لأنه ربما يتوهم الابن أن الزجر بإغلاظ نوع من التأديب لصالحهما وليس بأذى، فعطف على النهي السابق ليبين أنه أذى وليس صلاحاً أو تأديباً.

(١) البحر المحيط ٧-٣٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٥ - ٧٠. وفحوى الخطاب يسمى عند الأصوليين دلالة النص وسمي بـ (فحوى الخطاب)، لأن المعنى الذي أفادته يفوح أي يتبادر من اللفظ بمجرد من غير أن يستعمل فيه. ومعناها في الاصطلاح: ما ثبت بمعنى النظم لغة لا اجتهداً، ولا استنباطاً، أي دلالة اللفظ على معنى ثبت بمعنى النظم " أو " هي فهم غير المنطوق من المنطوق بسياق الكلام ومقصوده. (الوسيط في أصول الفقه ص ١٠٢ د/ أحمد فهمي أبو سنة. ط الثانية ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م بدون ذكر المطبعة).

(٣) المفردات في غريب القرآن ١ - ٨٢٦. ل/ الراغب الأصفهاني. ط / دار القلم - دمشق - بيروت. ط: أولى - ١٤١٢ هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ثم أمر - تعالى - بإكرام القول لهما بدلاً من التأفيف والنهر..
والقول الكريم أي الجميل الذي لا شراسة فيه أو هو الذي يجمع المحاسن من البر
وجودة اللفظ.

بمعنى أن يكون الخطاب لهما مقرونًا بأمارات التعظيم والاحترام مثل أن يقول: يا
أبتاه ويا أماه، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب.. (١)
ثم أمر - تعالى - بالمبالغة في التواضع معهما بقوله (واخفض لهما جناح الذل من
الرحمة) أي تواضع لهما وتذلل.. " وقد صيغ هذا المعنى في هيئة تذلل الطائر عندما
يعتريه خوف من طائر أشد منه حيث يخفض جناحه متذللًا..

ففي هذا التركيب استعارة مكنية وتخيلية بأن يشبه الذل بطائر منحط من علو
تشبيهاً مضمراً ويثبت له الجناح تخيلاً والخفض ترشيحاً.
و " من " في قوله " من الرحمة " سببية أي الحامل لك على خفض الجناح هو
رحمتك لهما إذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقراً إليهما حالة الصغر..
ويصح أن تكون لا ابتداء الغاية أي هذا الذل ناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو عن
المداهنة.

ثم أمره - تعالى - بأن يدعو لهما بأن يرحمهما رحمته الباقية إذ رحمته عليهما لا
بقاء لهما ثم نبه سبحانه على العلة الموجبة للإحسان إليهما والبر بهما واسترحام الله لهما
وهي تربيتهما له صغيراً فقال - تعالى - (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (٢)
وإذا عاودنا النظر في تلك الوصية نجد أنه سبحانه " أبلغ في الإيحاء بالوالدين حيث
بدأه بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمه في سلوكه، وختمه بالتضرع في نجاتهما،

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ - ٧٠، وروح المعاني ١٥ - ٥٥، والبحر المحيط ٧ - ٣٧ ومفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٢٦.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٥ - ٥٦، والتحرير والتنوير ١٥ - ٧٠، والبحر المحيط ٧ - ٣٩.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

جزاء على فعلهما وشكراً لهما، ولم يرخص في أدنى شيء من امتهانهما، مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يدخل الصبر إليها في حد الاستطاعة إلا بتدريب كبير". (١)

ثم تواصل الآيات أمر البر بهما ليس فقط في الظاهر بل أيضاً فيما تضمه النفوس حيث يقول - تعالى -: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) "أي هو ﷻ أعلم بما يجري في نفوسكم من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير.. فالحذر كل الحذر من أن يضم لهما كراهة واستثقالاً، ولو فرط منه شيء من أذية أو تقصير لخرج في الصدر فإنه - سبحانه - (كان للأوابين) أي التوابين (غفورا) لما فرط منهم". (٢)

المبحث الثالث: الوصية الثالثة: إيتاء الحقوق لأربابها

قال - تعالى -: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) (٣)

ومناسبة هذه الوصية لما قبلها أنه - تعالى - لَمَّا ذَكَرَ بِرَ الْوَالِدِينَ، عَطَفَ بِذِكْرِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْقَرَابَةِ وَصَلَةَ الْأَرْحَامِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: "أَمْكُ وَأَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ" (٤).

(١) نظم الدرر ١١ - ٤٠٤. ل/ أبي بكر البقاعي. ط / دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) تفسير البضاوي ٣ - ٢٥٣. ط / دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط: أولى - ١٤١٨ هـ. بتصرف

(٣) سورة الإسراء آية رقم: ٢٦ - ٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٥ - ٦٧. ط: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

والحديث المذكور رواه ابن حبان في صحيحه (٨ - ١٢٨ ط / مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الثانية، ١٤١٤

- ١٩٩٣)

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ومغزى هذه الوصية أن الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم. وما من أحد إلا وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق المتمتزة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه. وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس. وإذا توانى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا في تأديتها إلى بعضهم فإن الحاجة المشتركة من العلم والثقافة وحفظ الصحة والأخلاق وأنواع الصناعة- تتعطل، وتبطلها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والتقهقر، وينحط بأفراده إلى أسفل الدرجات، فلهذا بعد ما أمر الله - تعالى - بإيتاء حقه- وهو توحيدة في عبادته- أمر بإيتاء حقوق العباد، القريب منهم والبعيد..(١)

وتفصيل هذه الوصية كما يلي:

-مجيء الأمر في الآية الكريمة عن طريق خطاب المفرد (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ..) " وذلك إِمَّا للتفنن في الخطاب حيث سبق الخطاب بالجمع في قوله: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) (٢) وجاء هنا بالإفراد لتجنب كراهة إعادة الصيغة الواحدة عدة مرات، والمخاطب غير معين فهو في معنى الجمع. وعلى ذلك فالخطاب لكل من هو صالح لذلك من المكلفين كما في قوله: (وقضى ربك). وإما أن يكون الخطاب لرسول الله ﷺ تهييجاً وإلهاباً لغيره من الأمة. وقيل هو خطاب له ﷺ خاصة في حياته ﷺ بأن يُؤتي أقرابه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة ويضعف هذا القول أن السورة مكية.

كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(١) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (تفسير ابن باديس) ١- ٧٩. ط / دار الكتب العلمية بيروت

- لبنان. ط: أولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. باختصار

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٢٥.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

أو هو خطابٌ لِلْوَلَاةِ أَوْ مَنْ قَامَ مَقَامَهُمْ بَأَن يُوْتُوا أَقْرَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُقُوقَهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، أَيِّ مِنْ سَهْمِ ذَوِي الْقُرْبَى مِنَ الْغَزْوِ وَالْغَنِيمَةِ" (١).

و(ذَا الْقُرْبَى) هو مَنْ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ وَالْأُمِّ وَإِنْ بَعُدَ. وقيل هو عام يشمل الأصل - وهو الأبوان - وما يتصل بالمرء من ناحيتهما من أصولها وفروعها، ويشمل الفرع - وهو الأبناء والبنات - وما يتصل به منهما من فروع.

غير أن الوالدين لمزيد العناية بهما خصصا بالذكر في الآيات المتقدمة، وإن كانا داخلين في هذا العموم. (٢)

المراد بالحق: واختلف العلماء في المراد بهذا الحق، فذهب الشافعي - رحمه الله - إلى أنه لا يجب الإنفاق إلا على الولد والوالدين، وقال غيره: يجب الإنفاق على المحارم بقدر الحاجة، واتفقوا على أن من لم يكن من المحارم كأبناء العم، فلا حق لهم إلا المودة والمؤالفة في السراء والضراء،

والمسكين: هو من لا يملك شيئاً من المال، أو يملك ما لا يسد حاجته، وهذا النوع من الناس في حاجة إلى العناية والرعاية، لأنهم في الغالب يفضلون الاكتفاء بالقليل، على إراقة ماء وجوههم بالسؤال. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " ليس المسكين الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان، والتمر والتمرتان، قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً".

وابن السبيل: هو المسافر المنقطع عن ماله سمي بذلك لملازمته السبيل - أي: الطريق - في السفر. أو لأن الطريق تبرزه فكأنها ولدته.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ - ٧٦، وفتح القدير ٣ - ٢٥٩، واللباب في علوم الكتاب ١٢ - ٢٦٢ وجامع البيان ١٧ - ٤٢٦.

(٢) ينظر: السراج المنير ٢ - ٢٣٤، وتفسير ابن باديس ١ - ٧٩.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وهذا النوع من الناس -أيضا- في حاجة إلى المساعدة والمعونة، حتى يستطيع الوصول إلى بلده.

وفي هذا الأمر تنبيه إلى أن المسلمين وإن اختلفت أوطانهم ينبغي أن يكونوا في التعاطف والتعاون على متاعب الحياة كالأسرة الواحدة. (١)

ولمَّا رغب في البذل، وكانت النفس قلَّما يكون فعلها قوامًا بين الإفراط والتفريط، أتبع ذلك قوله - تعالى -: (ولا تبذر) بتفريق المال سرفًا، وهو بذله فيما لا ينبغي، وفي قوله (تبذيرًا) تنبيه على أن الارتقاء نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط إلى مضيق الشح والتقتير؛ والتبذير: بسط اليد في المال على حسب الهوى جزافًا (٢) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: التبذير النفقة في غير طاعة الله (٣) وكذلك روى عن عبد الله بن مسعود (٤)

وكون المبذرين إخوان الشياطين لاشتراكهما في العصيان.. (٥)

" وهذه الأخوة تكون على وجوه:

الوجه الأول: أن الإسراف يضيع الحقوق، والشياطين يحرضون على ذلك ويرضونه.

الوجه الثاني: أن التبذير إضاعة رزق الله - تعالى -، في غير نفع، بل في ضرر مؤكد، وهذا يرضي الشيطان، ويقرب المبذر إليه.

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٢ - ٢٦٣ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ٨ - ٣٣١.

(٢) نظم الدرر ٤ - ٣٧٦.

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٥ - ٢٧٤) وغزاه ل / سعيد بن منصور والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) قال الهيثمي في المجمع (٧ - ٤٩ رقم: ١١١٢٦): "رواه الطبراني ورجاله ثقات"

(٥) معاني القرآن ٤ - ١٤٤ - ل / النحاس ط / جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الوجه الثالث: أن التبذير كفر للنعمة والشيطان يحث على المعاصي، والمعاصي كلها كفر للنعمة، وختم الله - سبحانه - الآية بقوله: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)، أي أنه كافر بنعمة الله كفراً بلغ فيه أقصاه فلعنه الله.

وإذا كان الإسراف منهيًا عنه، فالبخل أيضا منهي عنه، والاعتدال هو المطلوب ولا يكلف إنسان ما لا يقدر عليه، ولذا قال - تعالى - (وَإِنَّمَا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)

ومعنى الإعراض عن العطاء ألا يعطي، ولا يمنع بل يسكت كأنه المعرض، ولا يستحسن المنع؛ لأن المنع فيه إيئاس من العطاء، والخطاب للنبي - ﷺ -، ومن وراء خطابه خطاب أمته، والآية تأديب كريم وتوجيه إلى ما يكون عندما لا يكون مال يجب العطاء منه، أو عندما لا يكون موجب للعطاء.

وقوله (إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) متعلق بالشرط (تعرضن)، والمعنى هكذا: وإما تعرضن عنهم لفقد القدرة على العطاء مع رجاء رزق هو رحمة من ربك ترجوها، لتعطيهم عند تحقيق الرجاء.

وجواب الشرط (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)، أي قولاً سهلاً لنا من غير جفوة، بل في عطف يديهم ولا يبعدهم، والقول الميسور: لا يكون فيه قطع عن العطاء بل فيه رجاء لهم، كقوله يسر الله لي ولكم، أو أعطاني الله وأعطاكم". (١)

المبحث الرابع: الوصية الرابعة: العدل في الإنفاق

قال - تعالى - (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (٢)

(١) زهرة التفاسير ٨ - ٤٣٦٧ - ٤٣٦٩.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٢٩.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

والخطاب في الآية الكريمة يتناول كلَّ مكلف سواء كان الخطاب للنبي -ﷺ-
تعرضاً لأُمَّته وتعليماً لهم، أو الخطاب لكل من يصلح له من المكلفين (١)
وما ورد من تخصيص الخطاب له -ﷺ- لحديث جابر قال بيّنا رسول الله -ﷺ-
جالس إذ أتاه صبي فقال إن أُمِّي تستكسيك درعا فقال من ساعةٍ إلى ساعةٍ يظهرُ كذا
فعدُّ وقتاً آخر. فذهب إلى أمه فقالت له قل له إن أُمِّي تستكسيك الدرع الذي عليك
فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج إلى
الصلاة.. فأنزَلَ اللهُ تعالى (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) الآية
فهو حديث لم يثبت (٢) حتى يصح تخصيص الخطاب به. كما أن كون السورة
مكية يابى هذا

الحديث ، والآية ليست من المستثنيات (٣)

ومحور هذه الوصية هو الاقتصاد والاعتدال فيما يُنفق دون تفريط أو إفراط وقد
أحسن بعضهم حين قال: ولا تغلُّ في شيء من الأمر واقتصد... كلا طرقي قصد الأمور
ذميمٌ (٤)

ولأهمية هذه الوصية فإن القرآن الكريم يؤكد عليها في أكثر من موضع منها قوله -
تعالى -: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (٥) وقوله -تعالى -: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٧ - ٣٨٢ / ل محمد صديق خان. ط: المكتبة العصرية - بيروت ١٤١٢ هـ -
١٩٩٢ م.

(٢) قَالَ الْوَلِيُّ الْعِرَاقِيُّ: لَمْ أَفْ عَليهِ، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: لَمْ أَجِدْهُ. (الفتح السماوي بتخريج أحاديث
القاضي البيضاوي ٢ - ٧٧٢ / ل للمناوي. ط / دار العاصمة - الرياض).

(٣) روح المعاني ١٥ - ٦٥.

(٤) البيت لأبي سليمان الخطابي (ينظر خزائن الأدب ٢ - ١٠٦)

(٥) سورة الأعراف آية رقم: ٣١.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وَلَمْ يَتَّقُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(١)

إنه الاقتصاد والاعتدال في كل شيء حتى في المشية والكلام (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ^(٢))..

والوصية هنا ترينا مدى اهتمام الإسلام باتباعه، وتوجيههم لما فيه الخير لهم
وتحذيرهم من مغبة الإمساك والإسراف، كل ذلك في صورة من الحكمة والبلاغة.
"أما الحكمة فقد بينت أن المحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط
والتفريط، وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذام من كل حقيقة لها طرفان.
وقد تقرر في حكمة الأخلاق أن لكل خلق طرفين ووسطاً، فالطرفان إفراط وتفريط،
والوسط هو العدل، فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح وهو مفسدة للمحاييج
ولصاحب المال إذ يجبر إليه كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم. والطرف الآخر التبذير
والإسراف، وفيه مفسد لذي المال وعشيرته لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى
مصارف غير جديرة بالصرف، والوسط هو وضع المال في مواضعه وهو الحد الذي
عبر عنه في الآية بنفي حالين بين (لا ولا).

وأما البلاغة فبتمثيل الشح والإمساك بغل اليد إلى العُنُق، وهو تمثيل مبني على
تخيل اليد مصدراً للبذل والعطاء، وتخيل بسطها كذلك وغلها شحاً.^(٣)
والمعنى: لا تكن بخيلاً منوعاً، لا تعطي أحداً شيئاً.. ولا تسرف في الإنفاق فتعطي
فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتتعد ملوماً محسوراً.
وهذا من باب اللف والنشر أي: فتتعد إن بخلت ملوماً، يلومك الناس ويذمونك
ويستغنون عنك.

(١) سورة الفرقان آية رقم: ٦٧.

(٢) سورة لقمان آية رقم: ١٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٥ - ٨٤.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك، قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهو:
الدابة التي قد عجزت عن السير، فوقفت ضعفاً وعجزاً، فإنها تسمى الحسير. (١)
وتواصل الآيات بعد ذلك ربط هذا السلوك المستقيم بالعقيدة الثابتة فيقول -
تعالى- (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (٢)
إن هذا الآية بموقعها في سياق آيات الحكمة تعد نقطة ارتكاز بين سابقها ولاحقها
فالإيمان بأن الله - تعالى - بيده مقاليد البسط والقبض وليس لغيره - تعالى - في هذه
القضية شأن مما يعد ضابطاً لكل خلق سوي، وراحة للنفس البشرية من أطماعها
وأهوائها، ورفع لها في نفس الوقت من الذل والضياع..
ومن تعلقات هذه الآية بما قبلها:

"- أنها تعليل لقوله - سبحانه - (وإما تعرضن عنهم) الخ كأنه قيل: إن أعرضت
عنهم لفقد الرزق فقل لهم قولاً ميسوراً ولا تهتم لذلك فإن ذلك ليس لهوان منك عليه
- تعالى - بل لأن بيده - جلّ وعلا - مقاليد الرزق وهو - سبحانه - يوسعه على بعض
ويضيقه على بعض حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة، فما يعرض لك في بعض
الأحيان من ضيق الحال الذي يحوجك إلى الإعراض ليس إلا لمصلحتك فيكون قوله
- تعالى - (ولا تجعل يدك) الخ معترضاً تأكيداً لمعنى ما تقتضيه حكمته - عز وجل -
من القبض والبسط.

- أو تكون الآية تعليلاً للأمر بالاقتصاد المستفاد من النهي إن ما على معنى أن
البسط والقبض أمران مختصان بالله - تعالى - وأما أنت فاقصد وارك ما هو مختص به
- جلّ وعلا - أو على معنى أنكم إذا تحققتم شأنه - تعالى شأنه - وأنه - سبحانه - يبسط

(١) تفسير ابن كثير ٥ - ٧٠. باختصار

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٣٠.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ويقبض وأمعنتم النظر في ذلك وجدتموه - تعالى - مقتصدًا فاقتصدوا أنتم واستنوا بستته". (١)

وقوله - تعالى - في تذييل الآية الكريمة: (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) تعليل لجملة (إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ) إلى آخرها، أي هو يفعل ذلك لأنه عليم بأحوال عباده وما يليق بكل منهم بحسب ما جبلت عليه نفوسهم، وما يحف بهم من أحوال النظم العالمية التي اقتضتها الحكمة الإلهية المودعة في هذا العالم. (٢)

والخبير: العالم بالأخبار. والبصير: العالم بالمبصرات. والمبالغة في هذين الاسمين بحسب تعدد المفعولات لا بحسب تعدد الفعل وذلك لأن صفات الله متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها والمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله - تعالى - منزهة عن ذلك. (٣)

المبحث الخامس الوصية الخامسة:

حفظ النسل وحمايته من عادات الجاهلية الفاسدة

قال - تعالى -: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) (٤). قد يتعجب البعض من هذه الوصية! إذ كيف للإنسان أن يقتل ولده، ويتخلص منه لمجرد خشية الإملاق؟

وهو تعجب في محله لدى أصحاب العقول السليمة والفطرة القويمة.. ولكن كيف الحال بمن طمست فطرته، وغاب عقله، وانهمت بشريته أمام طاغوت يأسه وطمعه..

(١) روح المعاني ١٥ - ٦٦. باختصار

(٢) التحرير والتنوير ١٥ - ٨٦.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢ - ٥٠٧.

(٤) سورة الإسراء آية رقم: ٣١.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنها جاهلية لم تكن فقط في العرب وقت نزول القرآن بل ما زالت في بعض الدول كالهند مثلاً.

" والإملاق الفقر وعدم المال يقال: أملق الرجل إذا لم يبق له إلا المَلَقَاتُ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْعِظَامُ الْمُلْسُ " (١)

والعجب أن القتل هنا لمجرد خشية الإملاق وليس مع وجود الإملاق كما في الآية الواردة في سورة الأنعام في قوله - تعالى - (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) وهذا يدل على إنها عادة جاهلية مارسها بعض العرب فقراء وأغنياء.

وجه التقديم والتأخير في الآيتين: يقول الإمام الزركشي رحمه الله: " قوله: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)، وقال في سورة الإسراء: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأنَّ الخطاب في الأولى في الفقراء بدليل قوله (مِنْ إِمْلَاقٍ) فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل: (خَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ) فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم " (٢).

" وفي كلتا الحالتين فإنَّ القرآن ينهى عن قتل الأولاد، ويغرس في نفوس الآباء الثقة بالله، والاعتماد عليه.

وجملة (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) تعليلية لإبطال ما اتخذوه سبباً لمباشرة جريمتهم، وضمنان منه - سبحانه - لأرزاقهم أي: نحن نرزق الفريقين لا أنتم وحدكم، فلا تقدموا على تلك الجريمة النكراء، والشأن حتى في الحيوان الأعجم أنه يضحى من أجل

(١) المحرر الوجيز ٣ - ٤٦٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣ - ٢٨٥.

أولاده، ويحميهم ويتحمل الصعاب في سبيلهم.
وقوله - تعالى - : (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) تعليل آخر ببيان أن المنهي عنه في نفسه منكر عظيم لما فيه من قطع التناسل و قطع النوع والخِطء كالإثم لفظاً ومعنى" (١)

المبحث السادس الوصية السادسة: حفظ الفرج

قال - تعالى - : (وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (٢)
ووجه ارتباط هذه الوصية بسابقتها أن في الزنا إراقة للنطفة، وسفح لها في غير محلها، فلو كان منها ولد لكان مقطوع النسب، مقطوع الصلة، ساقط الحق. فمن تسبب في وجوده على هذه الحالة فكأنه قتله. (٣)

والنهي لم يأت على الفعل نفسه وإنما على مقدماته، وهذا أبلغ في النهي يقول الإمام أبو السعود: " قوله - تعالى - : (ولا تقربوا الزنا) بمباشرة مبادئه القريبة أو البعيدة فضلاً عن مباشرته وإنما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولأن قربانه داع إلى مباشرته "هـ" (٤)

ثم علل - سبحانه - النهي عن الزنا بقوله (إنه كان فاحشة) أي قبيحاً متبالغاً في القبح مجاوزاً للحد شرعاً وعقلاً.

وقد ورد في تقييحه والتنفير عنه من الأدلة ما هو معلوم وهو يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وإيجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الأنساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته، وذلك يوجب ضياع الأولاد وانقطاع النسل،

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٥ - ٢١٧، وروح المعاني ١٥ - ٦٧.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٣٢.

(٣) ينظر: تفسير ابن باديس ١ - ٩١.

(٤) تفسير أبي السعود ٥ - ١٦٩.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وذلك يوجب خراب العالم. (١).. ولذلك قال - تعالى -: (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) أَي: ذَنْبًا عَظِيمًا (وَسَاءَ سَبِيلًا) أَي: وَبِئْسَ طَرِيقًا وَمَسْلَكًا. (٢)

لقد كانت هذه الجريمة مستحكمة في غالب مجتمعات العرب حتى أنهم قننوا لها وجعلوها من أخلاقهم، وعاداتهم، وليس من العجب إزاء هذه العادة أن نرى ذلك الأعرابي الذي جاء يستأذن رسول الله ﷺ في الزنا! حتى بين له النبي ﷺ قبح هذه الجريمة بأسلوب حكيم، وبطريقة تستنهض دوافع النفس الأبية، والفطرة السليمة.. والحديث كما يرويه الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: إِنْ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ - مَهْ - فَقَالَ: " اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفْتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَمِثُ إِلَى شَيْءٍ. (٣)

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٧ - ٣٨٥. باختصار

(٢) تفسير ابن كثير ٥ - ٧٢.

(٣) مسند أحمد ج ٣٦ - ٥٤٥ حديث رقم: ٢٢٢١١. ط / مؤسسة الرسالة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

قال الهيثمي في المجمع (١ - ٣٤١ رقم: ٥٤٣): " رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ".

المبحث السابع: الوصية السابعة: عدم العدوان:

قال - تعالى -: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)(١)

هذه هي الوصية السابعة التي أوصى بها رب العالمين في آيات الحكمة، وهي النهي عن قتل النفس التي حرم الله - تعالى - قتلها إلا بالحق. "والحق الذي يبرر قتل النفس يكون لحماية النفس ذاتها.

والنهي عن قتل النفس عام إلا إذا وجد ما يبرره، لأن الله - تعالى - حرم قتلها، فقوله - تعالى - (الَّتِي حَرَّمَ) قتلها فيه الصلة، وهي علة النهي، فقتلها منهي عنه، لأن الله - تعالى - حرمها، ولذا إذا كان هناك ما يبرر قتلها فإن الله - تعالى - لم يحرم قتلها، فلا نهي، لأنه مباح الدم وقد فسر النبي ﷺ هذا الحق الذي يبيح قتل النفس بقوله " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والشيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة)(٢)". (٣)

إذن فالحياة حق لمن وهب الله له الحياة، وانتفاء هذا الحق يتوقف على إذن من واهب الحياة ومن هانت عليه حياة الآخرين فليس له الحق في أن تحترم حياته. " وكان القياس أن يُقابل الجمع بالجمع، فيقول: لا تقتلوا النفوس التي حرم الله، لكن الحق ﷺ يريد أن قتل النفس الواحد مسئولية الجميع، لا أن يسأل القاتل عن النفس

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الديات، باب قول الله تعالى (أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) [المائدة ٤٥] رقم: ٦٤٨٤. وأخرجه مسلم في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم رقم: ١٦٧٦.

(٣) زهرة التفاسير ٥ - ٢٧٣٤. بتصرف

آيات الحكمة في سورة الإسراء

التي قتلها، بل المجتمع كله مسئول عن هذه الجريمة". (١)
فالامر يحتاج إلى تكاتف الجميع لردع من تسول له نفسه الاعتداء على الآخرين،
وإن من الأشياء التي ترد ذلك هو ما وضحته آية أخرى في السورة ذاتها، في قوله -
تعالى- (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) وهكذا يقدم القرآن أفضل الحلول للوقاية من الوقوع في هذه
الجريمة، إنه القول الأحسن وليس فقط الحسن. وقد يستهين البعض بهذه الوقاية، وهو
لا يدري أن معظم النار من مستصغر الشرر.

" فالنهي عن قتل النفس من أهم الوصايا التي أوصى بها الإسلام أتباعه في هذه
الآيات الجامعة، وإذا عاودنا النظر في الجزء الأول من الآية الكريمة نرى مدى العناية
بهذه الوصية الإلهية لجميع الناس.

فمثلاً، وصفت النفس بالموصول والصلة (الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) فدل ذلك على أن كَوْنِ
تَحْرِيمِ قَتْلِهَا مَشْهُورًا مِنْ قَبْلِ هَذَا النَّهْيِ، إِمَّا لِأَنَّهُ تَقَرَّرَ مِنْ قَبْلِ بَيِّنَاتٍ أُخْرَى نَزَلَتْ قَبْلَ
هَذِهِ الْآيَةِ...، وَإِمَّا لِتَنْزِيلِ الصَّلَةِ مَنْزِلَةَ الْمَعْلُومِ لِأَنَّهَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي جَهْلُهُ فَيَكُونُ تَعْرِيفًا
بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِقَتْلِ النَّفْسِ بِأَنَّهُمْ جَاهِلُوا مَا كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوهُ،
تَنْوِيهَا بِهَذَا الْحُكْمِ. إِذ تَوَاتَرَ وَشَاعَ بَيْنَ الْأُمَّمِ فِي سَائِرِ الْعُصُورِ وَالشَّرَائِعِ مِنْ عَهْدِ آدَمَ
صَوْنُ النَّفُوسِ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بِالْإِعْدَامِ، فَبِذَلِكَ وَصِفَتْ بِأَنَّهَا الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، أَيْ
عُرِفَتْ بِمَضْمُونِ هَذِهِ الصَّلَةِ". (٢)

وقوله ﷺ: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا) " إرشاد لوليِّ المقتول إلى سلوك طريق العدل عند المطالبة بحقه.

(١) تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي ١٤ - ٨٥١١. مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ م.

(٢) التحرير والتنوير ١٥ - ٩٢. باختصار

آيات الحكمة في سورة الإسراء

والمراد بوليّه: من يلي أمر المقتول، كأبيه وابنه وأخيه وغيرهم من أقاربه الذين لهم الحق في المطالبة بدمه. فإن لم يكن للمقتول ولي، فالحاكم وليه.

والمراد بالسلطان: القوة التي منحها شريعة الله - تعالى - لوليّ المقتول على القاتل، حيث جعلت من حق هذا الولي المطالبة بالقصاص من القاتل، أو أخذ الدية منه، أو العفو عنه، ولا يستطيع أحد أن ينازعه في هذا الحق، أو أن يجبره على التنازل عنه.

فإذا استوفى الولي حق المقتول فلا يستزد على ذلك بأن يقتل غير القاتل أو يقتل اثنين والقاتل واحد، كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف في القتل بالمثل مع القتل بنحو قطع الأنف والأذن وإخراج العين ونحو ذلك.

وقرأ حمزة والكسائي (فلا تسرف) وهذا على طريقة الالتفات (١) والخطاب إما للقاتل أو الولي وهو خطاب لغير معين فيعم عموماً شمولياً.

والضمير في قوله (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) إما للمقتول فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب، وإما لوليّه فإن الله - تعالى - نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاية بمعاونته (٢).

(١) الالتفات، أحد أنواع خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فهو من علم المعاني، ومعناه: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة أي (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بغيره منها.

ومن فوائد الالتفات: - فنيّة التّنوّيع في العبارة، المثير لانتباه المتلقّي، والباعث لنشاطه - الاقتصاد والإيجاز في التعبير

- الإعراض عن المخاطبين، لأنهم عن البيانات معرضون أو مُدبرون وغير مكترئين. - إفادة معنى تتضمّنه العبارة التي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفاد إذا جرى القول وفق مقتضى الظاهر. إلى غير ذلك من فوائد.. [ينظر: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري - على هامش " شرح عقود الجمان للإمام السيوطي " ص ٧٤ ط - مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م]

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٨ - ٣٤٣ وتفسير القاسمي ٦ - ٤٥٩ ط / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، وتفسير البيضاوي ٣ - ٢٥٤.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وقد يرد سؤال هنا وهو أن الآية شرعت فقط لوليِّ المقتول أن يقتص من القاتل، وليس له أن يأخذ الدية أو أن يعفو فكيف يتفق هذا مع ما ورد من آيات أخرى تجيز لولي المقتول العفو أو أخذ الدية مثل قوله - تعالى - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ عِتْدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)؟

" ويجاب على ذلك بأن السلطنة في الآية الكريمة مجملة يفسرها قوله - تعالى - (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) وقوله عليه الصلاة والسلام (من قتل قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا الدية (١) ". (٢)

هذا ما قاله الإمام الرازي إجابة على هذا السؤال المطروح، ويذهب الطاهر بن عاشور أن الآية في الحقيقة مجملة ولكن لم تظل مجملة إلى أن نزل تفسيرها بالمدينة واستقرار دولة الإسلام بها، وإنما هي مجملة يفسرها في وقت النزول ما هو متعارف بين القبائل من أحكام القود على وجه الإجمال، وهو ما ذكر في قوله تعالى: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) فالمراد بالجعل ما أرشد الله إليه أهل الجاهلية من عادة القود.

والقود من جملة المستثنى بقوله: (إلا بالحق)، لأن القود من القاتل الظالم هو قتل للنفس بالحق. وهذه حالة خصها الله بالذكر لكثرة وقوع العدوان في بقية أيام الجاهلية، فأمر الله المسلمين بقبول القود. وهذا مبدأ صلاح عظيم في المجتمع الإسلامي، وهو حمل أهله على اتباع الحق والعدل حتى لا يكون الفساد من طرفين فيتفقم أمره، وتلك

(١) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب الديات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حكم ولي القتل في القصاص والعفو) ثم قال: " هذا حديث حسن صحيح "

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٣٥.

عادة جاهلية...

فنهى الله المسلمين عن أن يكونوا مثلاً سيئاً يقابلوا الظلم بالظلم كعادة الجاهلية بل عليهم أن يتبعوا سبيل الإنصاف فيقبلوا القود، ولذلك قال: (فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ). (١).

وبعد أن نهى - سبحانه - عن إتلاف النفوس عن طريق القتل والزنا، أتبع ذلك بالنهي عن إتلاف الأموال التي هي قوام الحياة، وبدأ - سبحانه - بالنهي عن الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ثم ثنى بالأمر بإيفاء الكيل والميزان عند التعامل.

المبحث الثامن: الوصية الثامنة: حفظ الأموال باحترام الملكية

قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٢).

تبدأ هذه الوصية بحفظ مال اليتيم، وعدم السطو عليه، " والأصل عدم التعدي على مال الآخرين أيًا كانوا يتامى أو غير يتامى، وإنما خص اليتيم بالذكر، لأنه ضعيف لا ناصر له، والنفوس أشد طمعاً في مال الضعيف؛ فالعناية به أوكد، والعقوبة عليه أشد. ومن تأدب بأدب الآية في مال الضعيف كاليتيم، كان حقيقاً أن يتأدب بأدبها في مال غيره". (٣).

وتعد الوصية بحفظ مال اليتيم من الوصايا المهمة التي أوصى الله بها في هذه الآيات، ذلك أن أكل أموال اليتامى في الجاهلية كان مستحلاً عندهم، ولا تزال النفوس

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ - ٩٤.

(٢) سورة الإسراء ٣٤ - ٣٥.

(٣) ينظر تفسير ابن باديس ١ - ٩٥.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

اللئيمة، تطمح في أكل مال اليتيم، وتستولي عليه ونسيت أن ذلك عرض زائل وعمما قريب تدور عليها الدوائر.

والأمر كما قال - تعالى - (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا) (١)

فأكل مال اليتيم من الموبقات السبع كما ذكر النبي ﷺ ذلك في حديثه حيث قال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات". قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال "الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" (٢)

والآية الكريمة هنا ترتقي بالنفس البشرية، وتبث فيها روح الأنفة فتتهى عن قربان مال اليتيم حتى لكان ذلك شيء ينبغي أن تتأفف منه النفس، ولا تشتهييه، فإن من أحب شيئاً استهواه القرب منه.

فإذا ما صارت النفوس إلى تلك الدرجة سهل عليها أن تحمل أمانة حفظ هذا المال، وتتصرف فيه بما يصلحه وينميه.

ويبين هذا المعنى ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ - ﷻ - (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٣) و(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) إِلَى قَوْلِهِ (سَعِيرًا) (٤) قَالَ: انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ

(١) سورة النساء

(٢) صحيح البخاري كتاب الوصايا، باب قول الله - تعالى - (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا) [النساء ١٠] وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها رقم: ٨٩.

(٣) سورة الأنعام آية رقم: ١٥٢.

(٤) سورة النساء آية رقم: ١٠.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ مِنْ شَرَابِهِ، يَفْصِلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ، أَوْ يَفْسِدَ، فَيَرْمِي بِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ - ﷻ - (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) إِلَى (عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١) فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ. (٢)

وإذا كان الأمر كذلك " فيحمل النهي عن القربان على المبالغة في حرمة التصرف فيه على وجه غير شرعي.

فمعنى الآية إذاً: لا تتصرفوا في مال اليتيم واليتيمة بطريق من الطرق إلا بالطريقة التي هي أحسن أي بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وشميره بأن تتجروا فيها وتحصلوا من ربحها ما يحتاج إليه اليتيم قال - تعالى - (وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ) (٣) " (٤)

وتسليم مال اليتيم إليه كما هو مذكور في الآية الكريمة مشروط ببلوغ الأشد وهو بلوغ النكاح، كما بينه الله - تعالى - في آية أخرى وهو قوله: (وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (٥) وَالْمُرَادُ بِالْأَشَدِّ بُلُوغُهُ إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُهُ بِسَبَبِ عَقْلِهِ وَرُشْدِهِ الْقِيَامُ بِمَصَالِحِ مَالِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَزُولُ وَلَايَةُ غَيْرِهِ عَنْهُ وَذَلِكَ حَدُّ الْبُلُوغِ، فَأَمَّا إِذَا بَلَغَ غَيْرَ كَامِلِ الْعَقْلِ لَمْ تَزَلِ الْوَلَايَةُ عَنْهُ. (٦)

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٢٠.

(٢) رواه الحاكم في مستدرکه كتابُ الجهادِ حديث رقم: ٢٤٩٩ وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخَرِّجْهُ " وعلق الذهبي عليه بقوله " صحيح "

(٣) سورة النساء آية رقم: ٥.

(٤) حاشية القونوي على البيضاوي ١١ - ٤٩٨.

(٥) سورة النساء آية رقم: ٦.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٣٧.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ثم قال - تعالى - إثر هذا النهي عن قربان مال اليتيم (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)

" أي أوفوا بما عاهدتم الله - تعالى - عليه من التزام تكاليفه وما عاهدتم عليه غيركم من العباد ويدخل في ذلك العقود.

وجوز أن يكون المراد ما عاهدكم الله - تعالى - عليه وكلفكم به.

والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه وعدم نقضه واشتقاق

ضده وهو الغدر يدل على ذلك وهو الترك.

وفي قوله - تعالى - (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) الكلام على حذف مضاف أي إن صاحب العهد كان مَسْئُولًا. وقيل لا حذف أصلا، والكلام على التخييل، كأنه يقال: للعهد لم نكثت، فمثل كأنه ذات من الذوات تسأل لم نكثت دلالة على المطاوعة بنكته وإلزام ما يترتب على نكته، كما جاء (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (١). (٢).

وقد يُطرح سؤال في هذا الموضوع؛ وهو لماذا اجتمع الأمر بالوفاء بالعهد مع النهي عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن في آية واحدة؟ أجاب الشيخ أبو زهرة على ذلك فقال: " إن ذلك يشير أولاً: أن اليتيم مع كافلة كأنه في عهد أمانة عاهد الله - تعالى - عليه فلا يضيع ذلك العهد، ويشير ثانياً: إلى أن العقد في مال اليتيم يجب الوفاء به كما يجب الوفاء في مال غيره، ويشير ثالثاً: إلى أنه مسئول أمام الله عما فعل في مال اليتيم، والله أعلم" (٣).

ثم أمر - تعالى - بإيفاء الكيل وبالوزن المستقيم، فقال (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا

(١) سورة التكوير آية رقم: ٨ - ٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٧ - ٤٦، وروح المعاني ١٥ - ٧١.

(٣) زهرة التفاسير ٨ - ٤٣٨٠.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

" وذلك مما يرجع إلى المعاملة بالأموال فالمناسبة بين الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والميزان ظاهرة في المعنى واللفظ، فالانتقال في السياق ملحوظ التناسق. إذ إن الكلام انتقل من العام إلى الخاص، فبعد أن أمر - سبحانه - بالوفاء بصفة عامة (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) أتبع ذلك بالوفاء في شئون البيع والشراء (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ.. الآية (١))."

أما عن إيفاء الكيل والميزان والتحذير من بخسهما فقد ورد في القرآن في أكثر من آية، حتى أن القرآن الكريم ليفرد لهذا الأمر سورة بعينها تسمى المطففين، وفي قصة شعيب - عليه السلام - الكثير من الحديث عن ذلك.

وكل ذلك مما يؤكد على أمر الوصية بإيفاء الكيل والميزان.

وتكمن أهمية هذه الوصية في أن النفس البشرية إذا لم ترعوي انتقلت في فسادها من سيء إلى أسوأ فبخس الكيل والميزان لا يقف فقط عند أكل أموال الناس بالباطل، بل يؤدي ذلك بالنفس إلى أن تختل فيها قضية الأخلاق بأكملها المبنية في أصلها على العدل في الأمور كلها.

وهذا واضح وبيّن في ختام سورة المطففين ؛ فبعد أن تحدثت السورة عن عاقبة المطففين، وما يصدر منهم من اختلال ظاهري متمثلاً في تطفيف الكيل والميزان، جاء ختام السورة ليبين أن الاختلال الظاهري يقابله اختلال باطني قال - تعالى - (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) (٢)

(١) ينظر: في ظلال القرآن ٤ - ٢٢٢٦ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ٨ - ٣٤٩.

(٢) سورة المطففين ٢٩ - ٣٢.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

أما قوله - تعالى- (وأوفوا الكيل) فمعناه: " لا تنقصوا فيه لأنَّ الأمر بإيفاء الكيل مستلزم للنهي عن ضده وهو النقص.

ثم تبين الآية أنَّ إيفاء الكيل يكون وقت الكيل نفسه، ولا يكون تكميله بعد زمان. فالمطلوب الأصلي من الأمر عدم النقصان، ولو تمَّ ذلك بزيادة لا يتأتى دونها. أمَّا الزيادة المفرطة فهو إيفاء لكنه مندوب إليه غير مأثور به " (١)

والقسطاس: - بِضَمِّ الْقَافِ - فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ. وَقَرَأَهُ - بِالْكَسْرِ - حَفْصٌ، وَحَمْرَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ. وَهُمَا لُغَتَانِ فِيهِ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْمِيزَانِ أَيَّ آلَةِ الْوِزْنِ. (٢)
وعن مجاهد القسطاس: العدل بالرومية (٣)

فإن قيل بهذا المعنى فكيف يحمل وصف القسطاس - أي بمعنى العدل - بالمستقيم؟

يجاب على هذا بأن الوصف بـ(المستقيم) على هذا القول وصف كاشف لأنَّ العدل كله استقامة.

أما على تفسير القسطاس بمعنى (آلة الوزن) " فوصفه بالمستقيم أمر ظاهر. وحيث أن يكون معنى (المستقيم) " الصحيح الذي لا عيب فيه مما يجعله غير صالح للوفاء بالعدل، ككسره أو اعوجاجه أو أي خلل في تركيبه.

(١) حاشية القونوي على البيضاوي ١١ - ٥٠٠. بتصريف يسير

(٢) ينظر الحجة للقراء السبعة ٥ - ١٠١ ل/ أبي علي الفارسي. ط/ دار المأمون للتراث - بيروت - ط: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) [الأنبياء ٤٧]. وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن رقم: ٧١٢٢ " وقول مجاهد: (القسطاس) العدل بالرومية فلفقد مادته في العربية ولكن ذلك لا يقدح في عربية القرآن لأن العرب استعملته وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها فصار عربياً، فلا حاجة إلى ادعاء عربيته في الأصل أو ادعاء التغليب في قوله تعالى: (إننا أنزلناه قرآناً عربياً) (يوسف ٢). [ينظر: تفسير البيضاوي ٣ - ٢٥٥ وحاشية القونوي عليه ١١ - ٥٠٠]

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أن عند استقامته لا يتصور الجور غالباً بخلاف الكيل فإنه كثيراً ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضاً في قوله - تعالى - : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (١)) " (٢)

ثُمَّ قَالَ - تعالى - (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أي ذلك - باسم الإشارة للبعيد - "الأمر العالي الرتبة الذي أمرناكم به (خير) لكم في الدنيا والآخرة وإن تراءى لكم أن غيره خير (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أي عاقبة في الدارين، وهو تفعيل من الأول - بفتح الهمزة وسكون الواو - وهو الرجوع، وأفعال التفضيل هنا لاستعمال النصفة لإرخاء العنان، أي على تقدير أن يكون في كل منهما خير، فهذا الذي أمرناكم به أزيد خيراً والعاقلة لا ينبغي أن يرضى لنفسه بالدون " (٣)

وبعد ذلك تتوجه الآيات بوصايا العلم النافع المبني على اليقين، وترك ما لا علم للإنسان به من قول أو فعل قال - تعالى - : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)، ثم الوصاية بالأخلاق العامة، وأهمها التواضع، ونبذ الكبر والعجب من النفس والسلوك قال - تعالى - : (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) (٤)

" فالعلم الصحيح، والخلق المتين، هما الأصلان اللذان ينبنى عليهما كمال الإنسان، وبهما يضطلع بأعباء ما تضمنته الآيات المتقدمة، من أصول التكليف؛ فهما أعظم مما تقدمهما من حيث توقفه عليهما. فجيء بهما بعده، ليكون الأسلوب من باب

(١) سورة الأنعام آية رقم: ١٥٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ - ٩٨ وتفسير ابن باديس ١ - ٩٨، وتفسير أبي السعود ٥ - ١٧١.

(٣) نظم الدرر ١١ - ٤١٣.

(٤) سورة الأسراء آية رقم: ٣٧.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الترقي من الأدنى إلى الأعلى ولما كان العلم أساس الأخلاق قدمت آيته على آيتها تقديم الأصل على الفرع". (١) ومع هاتين الوصيتين بالتوضيح والتفصيل.

المبحث التاسع: الوصية التاسعة:

العلم النافع المبني على اليقين، وترك ما لا علم للإنسان به من قول أو فعل
قال - تعالى -: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (٢)

كلمات قليلة لكنها تشتمل على المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً،
ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، وتلك هي ميزة الإسلام على المناهج العقلية
الجافة! فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة
القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق.

والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من
الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعثها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن
سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد.. (٣)

ولنسمع ما قاله بعض السلف الصالح في معنى هذه الآية:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ: قَوْلُهُ (لَا تَقْفُ) أَي: لَا تَقُلْ. وَقَالَ
الْعَوْفِيُّ: لَا تَرْمِ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: يَعْنِي شَهَادَةَ الزُّورِ.
وَقَالَ قَتَادَةُ: لَا تَقُلْ: رَأَيْتُ وَلَمْ تَرَ، وَسَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ، وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ، فَإِنَّ اللَّهَ -
تعالى - سَأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. (٤)

(١) تفسير ابن باديس ١ - ٩٩.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٣٦.

(٣) في ظلال القرآن ٤ - ٢٢٢٧. بتصرف واختصار.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٧ / ٤٤٦.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وَمَضْمُونٌ مَّا ذَكَرُوهُ أَنَّ اللَّهَ - تعالى - نهى عن اتباع ما لا يكون معلوماً.
لكن لا بد من معرفة معنى العلم أصلاً وما يميزه عن الظن والوهم والشك.
أما العلم فهو إدراك أمر على وجه لا يحتمل أن يكون ذلك الأمر على وجه من
الوجوه سواه، وهو علم الاعتبار.

ويليه الظن، وهو إدراك أمر على وجه هو أرجح الوجوه المحتملة، وهو معتبر
عندما تتبين قوة رجحانه فيما لا يمكن فيه إلا ذلك. وهذه هي الحالة التي يطلق عليه
فيها لفظ العلم مجازاً.

وأما الوهم، فهو إدراك الأمر على الوجه المرجوح.
والشك، إدراك الأمر على وجهين، أو وجوه متساوية في الاحتمال، وكلا هذين لا
يعول عليه.

يقول الإمام ابن باديس موضحاً ما ينبغي على الإنسان تناوله من هذه الأقسام
الأربعة: "لما كان الإنسان - بما فطر عليه من الضعف والاستعجال - كثيراً ما يبنى
أقواله وأفعاله واعتقاداته على شكوكه وأوهامه، وعلى ظنونه حيث لا يكتفي بالظن،
وفي هذا البناء الضرر والضلال.. بين الله - تعالى - لعباده في محكم كتابه أنه لا يجوز
لهم، ولا يصح منهم البناء لأقوالهم، وأعمالهم، واعتقاداتهم، إلا على إدراك واحد وهو
العلم، فقال - تعالى -: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أي لا تتبع ما لا علم لك به فلا
يكن منك اتباع بالقول، أو بالفعل، أو بالقلب، لما لا تعلم؛ فنهانا عن أن نعتقد إلا عن
علم أو نفعل إلا عن علم، أو نقول إلا عن علم.

فما كل ما نسمعه أو نراه أو نتخيله نقوله.. بل علينا أن نعرضه على محك الفكر؛
فإن صرنا منه على علم قلناه.. ولا كل فعل ظهر لنا نفعه. بل حتى نعلم حكم الله -
تعالى - فيه، لنكون على بينة من خيره وشره، ونفعله وضره.

فلا تكون عقائدنا - إذا تمسكنا بهذا الأصل الإسلامي العظيم - إلا حقاً.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ولا تكون أقوالنا إلا صدقاً.

ولا تكون أفعالنا إلا سداداً" (١).

ثم يأتي التعليل لهذه الوصية بقوله - تعالى - (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) فالأمر ليس وصية فقط بل ما يترتب عليها من مسئولية على ما أودعه الله - تعالى - في الإنسان من وسائل تساعد على تحصيل العلم المبني على الأدلة والبراهين، فلا عذر ولا اعتذار (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) "تحذير شديد من أن يقول الإنسان قولاً لا علم له به، أو أن يفعل فعلاً بدون تحقق، أو أن يحكم حكماً بلا بينة أو دليل.

" والسؤال في قوله - تعالى - : (كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) للإنسان الذي تتبّع ما ليس له به علم من قول أو فعل.

ومن الآيات التي تشهد لهذا التفسير قوله - تعالى - : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَأَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢).

ويرى البعض أن السؤال موجه إلى تلك الأعضاء، لتتنطق بما اجترحه صاحبها، ولتكون شاهدة عليه، فيكون المعنى: إن السمع والبصر والفؤاد، كل واحد من أولئك الأعضاء، كان مسئولاً عن فعله، بأن يقال له: هل استعملك صاحبك فيما خلقت من أجله أو لا؟.

ويكون هذا السؤال للأعضاء من باب التوبيخ لأصحابها، كما قال - تعالى - : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٣).

وكما قال - سبحانه - : (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا

(١) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ١ - ١٠٣. باختصار

(٢) سورة الحجر آية رقم ٩٢ - ٩٣.

(٣) سورة يس آية رقم: ٦٥.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

جاءوا شهد عليهم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١) " (٢).
" أما اسم الإشارة في قوله (كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) فيعود إلى السمع والبصر
والفؤاد وهو من استعمال اسم الإشارة الغالب استعماله للعاقل في غير العاقل تنزيلاً
لتلك الحواس منزلة العقلاء لأنها جديرة بذلك إذ هي طريق العقل والعقل نفسه.
وعلى هذا القول يكون اسم الإشارة مستخدماً في غير ما هو له على سبيل
الاستعارة ووجه الشبه سببية هذه الأفعال الصادرة من العقلاء " (٣)
وبعد النهي عن اتباع ما ليس للإنسان به علم، وما يلزم ذلك من تحصيل العلم
المبني على الأدلة والبراهين، وتنبهه إلى أن كل ما يحصله سمعه وبصره وفؤاده هو
محل المسؤولية والمحاسبة، وما يترتب عليه بعد ذلك من جزاء، عطفت الآيات
الأصل الثاني الذي ينبي عليه كمال الإنسان.

المبحث العاشر: الوصية العاشرة:

تقويم السلوك الإنساني ورعايته من كل اعوجاج يعتريه

قال - تعالى -: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا) (٤).

وصية من رب العالمين خالق الأكوان والمهيمن على كل الوجود لهذا المخلوق
الضعيف، الذي هو مع ضعفه مغتر بنفسه.. أمرٌ يثير العجب، ويحير العقول..

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ * * * وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذْرُوعَةً
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ هَيْئَتِهِ * * * يَصِيرُ فِي الْأَرْضِ جِيفَةً قَدْرَهُ

(١) سورة فصلت آية رقم: ١٩ - ٢٠.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٨ - ٣٥١. باختصار

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ - ١٠٢ وحاشية القونوي على البيضاوي ١١ - ٥٠٣.

(٤) سورة الإسراء آية رقم: ٣٧.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وَهُوَ عَلَىٰ عُجْبِهِ وَنَخْوَتِهِ * مَا بَيْنَ يَوْمَيْنِ يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ (١)
ومن ثمَّ استحق أن تساق له الوصية حاملة في طياتها أسلوب التهكم (٢) (إِنَّكَ لَنْ
تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا).
أما عن الوصية في الآية الكريمة فهي "نهى للإنسان أن يمشي في الأرض مختالاً أي
في كبر وعُجب

وأصل معنى المرح: الفرح وشدة السرور لكنه أريد به هنا الكبر لأنه مسبب عن
شدة الفرح في الأكثر، والفرح مسبب عن الجاه وكثرة المال وغير ذلك من أسباب الكبر
وانتصب (مرحاً) على أنه مصدرٌ وقع موقع الحال أو مصدرٌ مؤكد لفعل هو الحال أي
تمرَّحَ مَرَحًا أو أن يكون مفعولاً له أي لأجل المرح والبَطْرِ.

ولا يصح أن يقال: التقييد بقوله (في الأرض) للاحتراز عن المشي في الهواء أو على
الماء، لأن هذا خارق ولا يحترز عنه بل للتذكير بالمبدأ والمعاد وهو أردع عن المشي
مشية الفاخر المتكبر وادعى لقبول الموعدة كأنه قيل: لا تمش فيما هو عنصرك الغالب
عليك الذي خلقت منه وإليه تعود والذي قد ضم من أمثالك كثيراً مشية الفاخر
المتكبر" (٣)

كما يفيد حرف الجر (في) الدال على احتواء الظرف للمظروف ضخامة الأرض

(١) الأبيات ل/ عبد الله بن محمد البخاري الشيخ الإمام أبو محمد الباقي، نسبه إلى باف بالباء والفاء
الموحدين قرية من قرى خوارزم. (طبقات الشافعية الكبرى ٣-٣١٧ - ل/ تاج الدين السبكي. ط/ هجر
للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ).

(٢) التهكم: هو إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال نحو قوله - تعالى - أيضاً: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أي
أنذرهم استعيرت البشارة وهي الإخبار بما يسر للإنذار الذي هو ضده بإدخاله في جنسها على سبيل
التهكم والاستهزاء. [البرهان في علوم القرآن ٤ - ٥٨، والإتقان في علوم القرآن ٢ - ١٢٤ النوع الثالث
والخمسون].

(٣) ينظر: حاشية القونوي ١١ - ٥٠٦، وتفسير أبي السعود ٥ - ١٧٢، وروح المعاني ١٥ - ٧٥.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

واحتوائها على من يمشي عليها كما جاء ذلك صريحاً في قوله - تعالى - (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١)).
ومن ثم لا يستطيع هذا المخلوق الضعيف أن يخرق الأرض ولا أن يطاول الجبال التي هي بعض أجزاء الأرض.

" وقوله - تعالى - (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ) تعليلاً للنهي وفيه تهكم بالمختال أي إنك لن تقدر أن تجعل فيها خرقاً بدوسك وشدة وطأتك (وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ) التي عليها (طُولا) بتعاظمك ومد قامتك فأين أنت والتكبر عليها إذ التكبر إنما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود فيك؟
و(طولاً) منصوب على التمييز وهو تمييز محول عن الفاعل أي ولن يبلغ طولك الجبال.

والكلام مستعمل في التعليل بتنزيل الماشي الواطئ الأرض بشدة منزلة من يتبغي خرق وجه الأرض وتنزيله في تطاوله في مشيه إلى أعلى منزلة من يريد أن يبلغ طول الجبال.

والمقصود من التهكم التشنيع بهذا الفعل. فدل ذلك على أن المنهي عنه حرام لأنه فساد في خلق صاحبه وسوء في نيته وإهانة للناس..^(٢)
ولو تذكر هذا المختال بنفسه ما يؤول إليه حاله من ضعف وشيبة ثم الموت والفاء ثم القيامة والجزاء لما اغتر بنفسه، ولو نظر إلى ما حوته الأرض ممن كان قبله في علو المقام والشرف والقوة، وطول العمر.. لكان في ذلك كفاية.. وقد أحسن بعضهم حين قال:

(١) سورة غافر آية رقم: ٥٧.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٥ - ١٧٢، وإعراب القرآن وبيانه ٥ - ٤٣٦. ل/ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. ط/ دار ابن كثير - دمشق - بيروت. الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ، والتحرير والتنوير ١٥ - ١٠٤.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وَلَا تَمْسُ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضَعًا ** فَاكُم تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَحِرْزٍ وَمَنْعَةٍ ** فَاكُم مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَمْنَعُ

وقال آخر: وكفى بملتمس التواضع رفعة ** وكفى بملتمس العلو سفالا (١)

وبعد أن ذكرت آيات الحكمة هذه التكاليف الشرعية المشتملة على أمور العقيدة والأخلاق.. ختم ﷺ تلك التكاليف التي يغلب عليها طابع النهي عن الرذائل بقوله (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) (٢).

أي: كل ذلك الذي بيناه لك فيما سبق، كان الفعل السيئ منه، عند ربك مكروهاً، أي: مبعوضاً عنده - سبحانه -.

قراءات:

وقرأ الأكثرون (سَيِّئُهُ) بِضَمِّ الْهَاءِ وَالْهَمْزَةِ وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو (سَيِّئَةً) مَنْصُوبَةً. (٣)

يقول الإمام الرازي مبيناً وجه القراءتين: "أَمَّا وَجْهُ قِرَاءَةِ الْأَكْثَرِينَ فَظَاهِرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: إِنَّهُ - تَعَالَى - ذَكَرَ قَبْلَ هَذَا أَشْيَاءَ أَمَرَ بِبَعْضِهَا وَنَهَى عَنْ بَعْضِهَا، فَلَوْ حَكَمَ عَلَى الْكُلِّ بِكَوْنِهِ سَيِّئَةً لَزِمَ كَوْنُ الْمَأْمُورِ بِهِ سَيِّئَةً وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ، أَمَّا إِذَا قَرَأْنَاهُ بِالْإِضَافَةِ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ مَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ سَيِّئَةً فَهُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاسْتِقَامَ الْكَلَامُ.

(١) ينظر هذه الآيات في: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١ - ٦١. ل/ محمد بن حبان البستي أبي حاتم. ط / دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٣٨.

(٣) الحجة في القراءات السبع ١ - ٢١٧. ل/ ابن خالويه، ط / دار الشروق - بيروت. الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

وَالْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّا لَوْ حَكَمْنَا عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِكَوْنِهِ سَيِّئَةً لَوْجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ - تعالى - قَالَ: (مَكْرُوهًا) أَمَّا إِذَا قَرَأْتَاهُ بِصِيغَةِ الْإِضَافَةِ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ سَيِّئَةَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ يَكُونُ مَكْرُوهًا، وَحِينَئِذٍ يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ. أَمَّا قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو: فِيهَا وَجُوهٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْكَلَامَ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ: (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١) ثُمَّ ابْتَدَأَ وَقَالَ: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (٢) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا (٣).

ثُمَّ قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً وَالْمُرَادُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: (كُلُّ ذَلِكَ) أَيُّ كُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: (مَكْرُوهًا) فَذَكَرُوا فِي تَصْحِيحِهِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَجُوهًا: الْأَوَّلُ: التَّقْدِيرُ: كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً وَكَانَ مَكْرُوهًا. الثَّانِي: قَالَ صَاحِبُ "الْكَشَافِ": السَّيِّئَةُ فِي حُكْمِ الْأَسْمَاءِ بِمَنْزِلَةِ الذَّنْبِ وَالْإِثْمِ زَالَ عَنْهُ حُكْمُ الصِّفَاتِ فَلَا اعْتِبَارَ بِتَأْنِيهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ قَرَأَ سَيِّئَةً وَمَنْ قَرَأَ سَيِّئُهُ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: الزَّانَا سَيِّئُهُ كَمَا تَقُولُ السَّرِيقَةَ سَيِّئُهُ، فَلَا تَفْرُقُ بَيْنَ إِسْنَادِهَا إِلَى مُذَكَّرٍ وَمُؤَنَّثٍ.

الثَّلَاثُ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالتَّقْدِيرُ: كُلُّ ذَلِكَ كَانَ مَكْرُوهًا وَسَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ. الرَّابِعُ: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى لِأَنَّ السَّيِّئَةَ هِيَ الذَّنْبُ وَهُوَ مُذَكَّرٌ (٤) ويرد هنا سؤال وهو كيف وصف (ذلك) بمطلق الكراهة مع أن أكثره من الكبائر كالشرك والزنا؟

قيل: للإيدان بأن مجرد الكراهة عنده - تعالى - كافية في وجوب الكف عن

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٣٥.

(٢) " " " " :٣٦.

(٣) " " " " :٣٧.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٠ - ٣٤٢.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

ذلك. (١)

ثم ختمت الأوامر والنواهي كما بدأها بربطها بالله وعقيدة التوحيد.
(ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي
جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا).

والتكرار للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله،
ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه.

بين البدء والختام في الآيات:

قال الإمام الزمخشري: "ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك، لأنَّ
التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بدَّ فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم، وهم عن دين
الله أضل من النعم" (٢).

"(وذلك) اسم إشارة إلى ما تقدم من الأحكام. (مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ) أي بعض
مما أوحى إليه ﷻ من ربه - سبحانه وتعالى - إذ مثل هذا المنهج الكامل لا يصل إليه
الأميون لولا الوحي من الله - تعالى - (مِنَ الْحِكْمَةِ) التي هي معرفة الحقائق على ما
هي عليه دون غلط ولا اشتباه.

ووصف تلك الأوامر والنواهي بالحكمة مما يعد تحريضاً على اتباعها لاشتمالها
على الخير الكثير. (٣)

وفي النهي عن الشرك في الآية الأولى (فَتَقَعْدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) وفي الثاني (فَتُلْقَىٰ
فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) قال الإمام أبو حيان: "والفرق بين مذموم وملوم أن كونه

(١) روح المعاني ١٥ - ٧٦.

(٢) الكشاف ٢ - ٦٦٨.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ٣ - ٢٥٦، والتحرير والتنوير ١٥ - ١٠٦.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

مذموماً أن يذكر أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح منكر، وكونه ملوماً أن يقال له بعد الفعل وذمّه: لم فعلت كذا، وما حملك عليه وما استفدت منه إلا إلحاق الضرر بنفسك، فأول الأمر الدم وآخره اللوم، والفرق بين مخذول ومدحور أن المخذول هو المتروك إعانتته ونصره والمفوض إلى نفسه، والمدحور المطرود المبعد على سبيل الإهانة له والاستخفاف به، فأول الأمر الخذلان وآخره الطرد مهاناً. وكان وصف الدم والخذلان يكون في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة، ولذلك جاء (فَتَلَقَى فِي جَهَنَّمَ) والخطاب بالنهي في هذه الآيات للسامع غير الرسول ﷺ^(١).

تلك هي آيات الحكمة من سورة الإسراء يظهر من خلالها طريق مستقيم يضمن سعادة البشرية، في الدنيا والآخرة، وليس للبشرية نجاة من عذاب ربها إلا من خلال سلوكه، ولن تعرف مذاق الحق والفضيلة إلا إذا التزمته..

والتاريخ خير شاهد على ذلك، فكل أمة لم تلزم تلك الحقائق العقديّة والسلوكية إلا حكمت على نفسها بالهلاك والدمار، واندراس وجودها.

إنّ الأوامر والنواهي في تلك الآيات الكريمة تمثل منهجاً متكاملًا مما يغني أمة الأرض عن البحث هنا وهناك، مع عدم الراحة والاطمئنان، وما يتبع ذلك من ضياع الزمن، وعبور الحياة دون معرفة أو اهتداء.

وعلى أمة الإسلام إيصال هذا المنهج للعالم أجمع من خلال التطبيق العملي دون إفراط أو تفريط. ولتكن على ثقة مما قاله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)^(٢) ولتكن على حذر مما قاله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى

(١) البحر المحيط ٦ - ٣٦.

(٢) سورة آل عمران آية رقم: ١١٠.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^(١)

وبعد،،

فكلام الله - تعالى - لا ينفد معينه ولا تنقضي فيوضاته، وليس فيما أمر أو نهى إلا الخير والسعادة.. وهذا جهد المقل وعلى الله القبول.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فرغ منه بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٤ م

(١) سورة المائدة آية رقم: ٥٤.

مراجع البحث

- أولاً: مراجع التفسير وعلوم القرآن.
- *الإتقان في علوم القرآن. للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - مكتبة دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة.
- * إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، (تفسير أبي السعود) قاضي القضاة محمد بن محمد العماوي - ط - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الرابعة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- * أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لـ / محمد الأمين الشنقيطي. ط / دار الفكر - بيروت - ٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- * أسباب النزول ، للواحدي النيسابوري - ط - دار الحرم للتراث " المنصورة " - الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- * إعراب القرآن وبيانه. لـ / محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. ط / دار ابن كثير - دمشق - بيروت. ط: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
- * أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (تفسير البيضاوي) للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي. ط / دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط / أولى - ١٤١٨ هـ.
- * بحثان حول سور القرآن اسم السورة يمثل روحها العام، ترتيب نزول السور القرآنية ، الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة - ط / دار البصائر - الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- * البحر المحيط ، لـ / أبي حيان الأندلسي. ط / دار الفكر - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- * البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي. ط / الحلبي. : ط / أولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

- * بصائر ذوى التمييز. ل. / الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب). ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
- * التحرير والتنوير. للشيخ / الطاهر بن عاشور. ط / دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م
- * تفسير القرآن العظيم ، ل/ ابن كثير. ط: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- * التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ل/ أ.د/ محمد سيد طنطاوي. ط/ دار نهضة مصر - القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٧ م.
- * التفسير التحليلي لسورة النساء، د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة - ط - مطبعة الفجر الجديد - الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.
- * تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي. مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ م.
- * جامع البيان في تفسير القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. ط / مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. تحقيق: أحمد محمد شاكر
- * الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (تفسير القرطبي) الإمام عبد الله بن محمد بن أحمد القرطبي. ط / دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- * حاشية القونوي على البيضاوي. ط / دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- * الحجة للقراء السبعة ، ل/ أبي علي الفارسي - ط - / دار المأمون للتراث - بيروت - ط: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- * الحجة في القراءات السبع. ل/ ابن خالويه، ط / دار الشروق - بيروت. الطبعة:

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الرابعة، ١٤٠١ هـ.

* الدر المثنور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي. ط / دار الفكر بيروت (١٩٩٣م).

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ل/ العلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي. ط / دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* زاد المسير في علوم التفسير، ل/ الإمام / أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط / دار الكتاب العربي - بيروت - ط: أولى - ١٤٢٢ هـ.

* زهرة التفاسير. ل/ الشيخ / أبي زهرة. ط / دار الفكر العربي.

* السراج المنير. للإمام / الخطيب الشربيني. ط / دار الكتب العلمية - بيروت.

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ل/ الإمام محمد بن علي بن الشوكاني ط / دار الكلم الطيب - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

* فتح البيان في مقاصد القرآن ٧ - ٣٨٢ ل/ محمد صديق خان. ط: المكتبة العصرية - بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

* في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (تفسير ابن باديس). ط / دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. ط: أولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

* في ظلال القرآن. للأستاذ / سيد قطب. ط / دار الشروق - بيروت - القاهرة. الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ط / دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

*الكشف والبيان. للإمام / الثعلبي. ط / دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان - بتاريخ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

- * لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن). ط / دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
- * اللباب في علوم الكتاب. ل / ابن عادل الحنبلي ط / دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ط / أولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- * لباب النقول في أسباب النزول. للإمام السيوطي. مكتبة الإيمان - القاهرة. ط / أولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- * محاسن التأويل ، / الشيخ / محمد جمال الدين القاسمي - ط - عيسى البابي الحلبي - الأولى - ١٣٧٦ هـ - ١٩٧٥ م. ط / دار الكتب العلمية - بيروت.
- * المحرر الوجيز ، ل / ابن عطية. ط / دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- * المدخل لدراسة القرآن الكريم د / محمد محمد أبو شهبة - ط - مكتبة السنة / الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- * معاني القرآن ، ل / أبي جعفر النحاس ط / جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- * معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ل / الراغب الأصفهاني. ط / دار القلم - دمشق - بيروت. ط: أولى - ١٤١٢ هـ.
- * مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير) ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي. ط / دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- * مناهل العرفان في علوم القرآن. ل / محمد عبد العظيم الزرقاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي. ط / الثالثة
- * الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، ل / أبي جعفر النحاس - مطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

* نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام / برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - ط / دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

* نهاية السؤل فيما استدرك على الواحدي والسيوطي من أسباب النزول. ل/ د أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهرى، ط / دار الصحابة للتراث، ط / الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

ثانياً: مراجع الحديث الشريف وعلومه والتراجم، واللغة والبلاغة، والمعاجم.

* الأوسط للطبراني. ط / دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ هـ.

* الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، ط - دار ابن كثير - بيروت - الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

* الجامع الصحيح، ل/ أبي الحسن مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم) ومعه شرح النووي المسمى المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج. / دار الغد - الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

* دلائل النبوة، ل/ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ط / دار التراث / الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

* الجامع الصحيح سنن الترمذي ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

* صحيح ابن حبان. ط / مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣.

* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ط / دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

* مقدمة ابن الصلاح. ط / مكتبة المتنبى.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

*الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي. ل / للمناوي . ط / دار
العاصمة - الرياض

* كشف المشكل من حديث الصحيحين ل / أبي الفرج عبد الرحمن ابن
الجوزي، ط / دار الوطن - الرياض - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

* مسند أحمد. ط / مؤسسة الرسالة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ل / علي بن أبي بكر الهيثمي. ط / دار الفكر،
بيروت - ١٤١٢ هـ.

* المستدرک علی الصحيحين في الحديث ، الحافظ أبو عبد الله محمد المعروف
بالحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي. بيروت - بدون تأريخ.

* البداية والنهاية. ل / ابن كثير. ط / دار الحديث - الخامسة - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

* تهذيب التهذيب ، ل / ابن حجر العسقلاني. ط / مجلس دائرة المعارف - النظامية
(الهند) بيروت - الأولى - ١٣٢٥ هـ

* تقريب التهذيب. ل / ابن حجر العسقلاني. ط / بيروت.

* الجرح والتعديل. ط / بيروت الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.

* طبقات الشافعية الكبرى - ل / تاج الدين السبكي. ط / هجر للطباعة والنشر
والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤١٣ هـ.

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ل / شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. ط /
بيروت.

* التبيين لأسماء المدلسين. ل د / إبراهيم بن محمد بن سبط بن العجمي. ط /
الريان.

* تاج العروس. ل / أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي. ط / دار الهداية.

* لسان العرب. ل / ابن منظور ط / دار صادر - بيروت.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

- * المزهر في علوم اللغة وأنواعها. للإمام السيوطي. ط / دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى، ١٩٩٨م.
- * معجم مقاييس اللغة. ل/ ابن فارس. ط / دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- * المصباح المنير. ل/ أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. ط / المكتبة العلمية - بيروت.
- * المحكم والمحيط الأعظم. ل/ ابن سيده. ط / بيروت ٢٠٠٠م.
- * الكليات. ل/ أبي البقاء الكفومي. ط / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- * المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية). ط / مكتبة الشروق الدولية. الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. ل/ عبد القادر بن عمر البغدادي. ط / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م).
- * المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للإمام سعد الدين التفتازاني - ط - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- * شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان. للإمام السيوطي - ط - مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
- * دلائل الإعجاز. مكتبة الخانجي - القاهرة / ط الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- * حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري - على هامش " شرح عقود الجمان للإمام السيوطي ". ط - مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨هـ [١٩٣٩م]
- * روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. ل/ محمد بن حبان البستي أبي حاتم. ط / دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٧م.

آيات الحكمة في سورة الإسراء

الفهرس العام

- ١- المقدمة ٩٣
- ٢- تمهيد ٩٦
- ٣- أسماء السورة الكريمة وسر تسميتها ٩٦
- ٤- مكان نزول السورة الكريمة ١٠٥
- ٥- فضل السورة الكريمة ١١٢
- ٦- بيان معنى الحكمة ١١٣
- ٧- سبب تسمية آيات الحكمة بهذا الاسم ١١٣
- ٨- تقسيمات آيات الحكمة ١٢٠
- ٩- الوصية الأولى: النهي عن الإشراك بالله تعالى ١٢١
- ١٠- الوصية الثانية: الأمر بعبادة الله تعالى مع الأمر ببر الوالدين ١٢٥
- ١١- الوصية الثالثة: إيتاء الحقوق لأربابها ١٣٤
- ١٢- الوصية الرابعة: العدل في الإنفاق ١٣٨
- ١٣- الوصية الخامسة: حفظ النسل وحمایته ١٤٢
- ١٤- الوصية السادسة: حفظ الفرج ١٤٤
- ١٥- الوصية السابعة: عدم العدوان ١٤٦
- ١٦- الوصية الثامنة: حفظ الأموال باحترام الملكية ١٥٠
- ١٧- الوصية التاسعة: العلم النافع المبني على اليقين ١٥٧
- ١٨- الوصية العاشرة: تقويم السلوك ١٦٠
- ١٩- أهم مراجع البحث ١٦٨
- ٢٠- الفهرس ١٧٥

آيات الحكمة في سورة الإسراء
